نــــــور يسوع المسيح المســـيــــح
ΦΩΣ الغـالب ΧΡΙΣΤΟΥ

مجلة شهرية

Issue No: 140 :عدد

April 2019 شهر نيسان

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الفصح المجيد

قيامة ربّنا يسوع المسيح الظافر من بين الأموات

«لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١ كو ٥: ٧)

وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ:«خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي».
وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً:«اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي
يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا.

محتويات العدد

2	فجر الغرب الروحي الكاذب
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	حول الأشياء الصغيرة
5	حياة النسك
6	لقد وجدنا الفردوس
7	-----
8	-----
9	هلمُّوا نتصافح
11	-----
11	-----
12	الرسالة الفصحية السابعة
15	عن قيامة السيد المسيح
16	لنقتني الحكمة التي من الله
17	الروميّة
18	شيخ يعلّم تلميذه كيفية الصلاة
19	--------
20	--------
21	الصلاة بانتباه – ق مكاريوس
22	--------
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

فجر الغرب الروحيّ الكاذب

المتروبوليت يريثيوس فلاخوس

كان **القدّيس باييسيوس ناسكًا مباركًا وقدّيسًا في الكنيسة**. امتلك آراءَ لاهوتيّة واضحة، ومواهب نبويّة ورسوليّة، ما جعل كلامه أزليًّا. تكلّم مرةً حول الشروط الروحيّة لعمل الروح القدس، فقال: «كلام العقل لا يُحوِّل الروح لأنه من الجسد، بينما كلام الله، الذي يولد من الروح القدس، يملك طاقةً إلهيةً ويحوِّل الروح. لا يحتاج الروح القدس إلى محرِّكات لينحدر، لذلك لا علاقة لِلّاهوت بالروح العلمية العقيمة. إنّ الروح القدس ينحدر بإرادته الخاصّة، عندما يجد الشروط الروحيّة المناسبة في الإنسان. وتتحقّق هذه الشروط المسبَقة عندما نزيل الصدأ عن أسلاكنا الروحيّة، فنصبح مُوْصِلِينَ جيّدين لتيّار الاستنارة الإلهية. حينها فقط يمكننا أن نصبح علماء روحيين ولاهوتيّين. وبكلمة «لاهوتي»، أعني أولئك الذين يملكون مخزونًا، ويكون لشهادتهم قيمة، لا أولئك الذين يحملون شهادةً لا تقلّ قيمةً عن عملتنا الورقية في أيام الاحتلال الألماني».

وبتمييزٍ كبير، أدان القادة الكنسيّون **المنتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية جسديًّا فقط**، فيما يمكث «**كيانهم**» في الغرب. قال: «للأسف، أثّرت العقلانيّة الغربيّة على بعض القادة الأرثوذكسيّين الشرقيّين الذين ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية بالجسد فقط. فهُم فعلًا ينتمون بالروح إلى الغرب الذي يعتبرونه «**قائدًا**» للعالم المدني. إلّا أنّ هؤلاء، إذا قاربوا الغرب روحيًّا ليروه على ضوء الشرق، أي على **ضوء المسيح**، سيلاحظون حينها فجره الروحي الكاذب. فنور الشمس الجليّة، **نور المسيح** نفسه يختفي شيئًا فشيئًا من الغرب، لتحلّ مكانه **الظلمة القاتمة**. هذه الاجتماعات والمؤتمرات كلّها من عمل الشرّير، والقادة يشتركون في حواراتٍ لا تنتهي حول مواضيع لا تحتاج إلى النقاش، ومسائل لم يتطرّق إليها الآباء انفسهم في الماضي. كلّ هذا من شأنه تشويش المؤمنين وإعثارهم، ودفع بعضهم إلى الهرطقات والانشقاقات ، ليربح الشيطان مساحةً أكبر. آه! ما هذا البؤس والإرباك الذي يسبّبونه للناس!».

كان **للقدّيس باييسيوس** ذهنٌ (نوس) ذو بصيرةٍ وتبصّر، وقد فَهِم بوضوحٍ مسيرة العديد من اللاهوتيّين المعاصرين وذهنيّتهم، من كهنة وعلمانيين. هؤلاء أرثوذكسيون بالاسم فقط، فيما تفتقد أعمالهم شروط اللاهوت الأرثوذكسي. فمن دون هذه الشروط المسبقة، يدفعون بالمؤمنين «بعضهم نحو الهرطقات، والبعض الآخر نحو الانشقاقات». لا ينحدر الروح القدس بواسطة المحرّكات، ولا يفعل بسلوكٍ دهري.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد الفصح المجيد

ثيوفيلوسُ الثالثُ برحمةِ اللهِ بطريركُ المدينةِ المقدسةِ اورشليمَ وسائرِ أعمالِ فلسطينَ

وطاقمِ الكنيسةِ أجمعينَ, بنعمةِ ورحمةِ وسلامِ القبرِ المقدّسِ المانحِ الحياةِ قبرِ المسيحِ القائمِ منَ الموتِ.

«أنتنَّ تَطلبنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبَ. قدْ قامَ ليسَ هوَ ههُنا. هُوذا الموضعُ الّذي وضعُوهُ فيهِ» (مرقس: ١٦:٦)

هذهِ هيَ الكلماتُ السماويَّةُ والخلاصيّةُ الّتي سُمِعَتْ منْ فمِ الملاكِ «بَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ» أتتِ المريماتُ الثلاثُ إلى القبرِ ليحنّطْنَ ويعطِّرْنَ جسدَ المسيحِ (أنجيل مرقس.٢:١٦:١). شعرتِ النّساءُ بفرحةِ البشارةِ عندَما تلقَّيْنَ الخبرَ أنَّ ابْنَ اللهِ الوحيدَ وكلمةَ اللهِ، المتجسّدَ منَ الروحِ القدسِ ومنْ مريمَ العذراءِ، الّذي نزلَ إلى الجحيمِ عنِ الصليبِ، قدْ قامَ منْ بينِ الأمواتِ. ظنَّ الجحيمُ هناكَ أنَّهُ قدْ تلقَّى إنسانًا عاميًّا بَشَرًا.. ولكنَّهُ سُحِقَ سَحقًا ، إذْ سَرْعانَ ما تيقَّنَ أنَّهُ لمْ يتلقَّ إنسانًا فحسْبُ بلْ إنسانًا كاملًا، وإلهًا عظيمًا خالدًا لا يموتُ، يحكمُ معَ الثالوثِ القدوسِ ومساويًا للآبِ.

هذهِ هيَ فعلًا معجزةٌ وحكمةٌ وقدرةٌ ونعمةُ اللهِ، التي تتمثَّلُ بِتَضْحِيَتِهِ منْ أجلِ خلاصِنا نحنُ. إنّهِ يسوعُ الناصريُّ بقوةِ الآبِ وطبيعتِهِ الإلهيةِ ، أقامَ الطبيعةَ البشريةَ ، أقامَ أيضًا آدمَ، وأقامَنا نحنُ البشرَ.

سِرُّ اللهِ الآبِ هذا حدثَ هنَا في هذا المكانِ، المكانِ الّذي نقفُ فيهِ.! تحتَ هذا النّصْبِ قُبِرَ ودُفِنَ ، ومنهُ **قامَ اللهُ المتجسّدُ يسوعُ المسيحُ**. وإنّه لشاهدٌ على حدوثِ هذا السرِّ هنا هو هذا القبرُ الفارغُ ، وكانَ شهودًا على ذلكَ أيضًا النساءُ والتلاميذُ الرّسلُ الذينَ عاينُوا القبرَ فارغًا ..! وعلى ذلكَ أيضًا كانَ شاهدًا الربُ نفسُهُ ، الذي ظهرَ بهيئةٍ أُخرى، المصلوبُ القائمُ منْ بينِ الأمواتِ بجسدِهِ الممجَّدِ في اليومِ الأوَّلِ من قيامتِهِ ، وكانتْ أوَّلَ الشهودِ على ذلك «مريمُ المجدليَّةُ» (مرقس٩:١٦) والّذي «قالَ للمريماتِ الثلاثِ عندَما انطلقْنَ ليخبرْنَ التلاميذَ السَّلامُ لكمْ» (متى٩:٢٨) والّذي «ظَهَرَ بِهَيْئَةٍ لاثْنَيْنِ مِنَ التَّلاَمِيذِ، وَهُمَا يَمْشِيَانِ مُنْطَلِقَيْنِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ» (مرقس.١٢:١٦) والّذي «ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وَهُمْ مُتَّكِئُونَ» (مرقس١٤:١٦) والّذي «ظهرَ لتوما في اليومِ الثامنِ منَ القيامةِ (يوحنا.٢٧:٢٠) والّذي «أَرَاهُمْ أَيْضًا نَفْسَهُ حَيًّا بِبَرَاهِينَ كَثِيرَةٍ، بَعْدَ مَا تَأَلَّمَ، وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ» (سفر أعمال الرسل ٣:١).

إنّه المصلوبُ بالجسدِ والقائمُ في اليومِ الثالثِ منْ بينِ الأمواتِ .! والصاعدُ بمجدٍ عظيمٍ من أجلِنا إلى السَّماءِ باعثًا منَ الآبِ روحَهُ القدوسَ ، وروحَ العنصرةِ المقدَّسةِ لتلاميذِهِ، وبروحِهِ المقدَّسةِ هيّأَ الربُّ ورفعَ الكنيسةَ للعالمِ، بوصفِها جسدَ المسيحِ المقدَّسِ ، والّتي ضحَّى لأجلِها من خلالِ دمِهِ الثمينِ والطَّاهرِ.!

إنَّ الكنيسةَ تعملُ في العالمِ بنورِ وقوةِ الروحِ القدسِ، على مدَى القرونِ .. إنَّ الكنيسةَ تُعلّمُ الإنسانَ، تثقّفُهُ وتمُدُّهُ بأسرارِها، تُعمِّدُهُ وتجعلُهُ عضوًا مُهمًّا فيها.!! إنَّها تُؤْنِسُ الإنسانَ, تُقدِّسُهُ ، وتجعلُهُ يعيشُ ويهنَأُ بسلامٍ معَ نفسِهِ ومعَ غيرِهِ .!! تمنحُهُ التّغييرَ اللائقَ ، وتجعلُهُ يتواصلُ بالإحسانِ ، والعملِ الصّالحِ في المجتمعِ.! إنّها تجعلُ الإنسانَ يتغلَّبُ ، وينتصرُ حتَّى على الموتِ ، وألَّا يهابَ خوفَ وعذابَ الموتِ.! لقدْ أبرزتِ الكنيسةُ ملايينَ الشّهداءِ الّذينَ ضحَّوا بأرواحِهِمْ منْ أجلِ اسمِ المسيحِ ، وسُفِكَتْ دماؤُهمُ التي اصبحتْ جنبًا إلى جنبٍ معَ دمِ المسيحِ تدعَمُ وتُشكّلُ أُسسَ الكنيسةِ الّتي «أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متى. ١٨:١٦).

إنَّ هذا العملَ لا تزالُ الكنيسةُ تقومُ بهَ حتَّى اليومِ، وفي أوقاتِ الأزماتِ الاقتصاديَّةِ والأخلاقيَّةِ، الجوعِ ، والفقرِ، والاستغلالِ، والتّجارةِ بالإنسانِ.! إنّ الكنيسةَ تَتضامنُ وتتعاطفُ معَ الإنسانِ، وتعملُ على مساعدتِهِ بكلِ إمكانيَّاتِها وقُواها، وبعدَّةِ وسائلَ ، ليستْ منَ الناحيةِ الروحيّةِ وحْدَها فحسبُ ، بلْ منَ الناحيةِ المعنويّةِ والاقتصاديّةِ والماديَّةِ أيضًا.! إنّها تُعلّمُ الإنسانَ أُسُسَ الحياةِ على القناعةِ وطبيعتِها.!

إنَّ الكنيسةَ في الارضِ المقدسةِ ملكةُ الكُلِّ, الأولى التي قبلتْ مغفرةَ

الخطايا منْ خلالِ القيامةِ، تمارسُ وتواصلُ مشروعَها الرعويَّ لطائفتِها في الأرضِ المقدسةِ التي تتزعزعُ وتعاني في ظلِ الوضعِ السياسيِّ غيرِ المستقرِّ. إنَّها تبعثُ الرحمةَ والنبيذَ إلى جروحِ طائفتِها وفي الوقتِ ذاتِهِ تواصلُ عملَها في الحفاظِ على الأرضِ المقدَّسةِ ، مكانِ حدوثِ ظهورِ الإلهِ بابْنِهِ المولودِ الوحيدِ وكلمتِهِ ، وهيَ تلكَ التي تستضيفُنا بمودةٍ، وحنانٍ، نحنُ الحجاجَ الوَرِعِينَ ، معتبرةً إيَّانا جزءًا منها في هذا اليومِ العظيمِ منْ حجِ القيامةِ.

إنَّ أمَّ الكنائسِ التي تتمجَّدُ بقيامةِ المسيحِ تهدي منَ القبرِ المقدسِ المانحِ للحياةِ، طائفتَهَا الورِعةَ في الأرضِ المقدسةِ وخارجَها وتناشدُنا نحنُ محبّي المسيحِ والحجاجَ التقيّينَ ترتيلةَ فصحِ القيامةِ « المسيحُ قامَ منْ بينِ الأمواتِ ووطِئَ الموتَ بالموتِ ووهبَ الحياةَ للذينَ في القبورِ».

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

المسيح قام، حقًّا قام.

حول الأشياء الصغيرة في الحياة

القديس يوحنا مكسيموفيتش

نقلتها إلى العربية مجموعة التراث الأرثوذكسي

يعتقد الكثيرون بأن العيش بحسب الإيمان وتحقيق مشيئة الله أمْرٌ صَعبٌ جدًا. بالواقع، إنه شديد السهولة. على المرء أن ينتبه للتفاصيل، للتفاهات، ويحاول تلافي الشرّ في الأمور الصغيرة جدًا والأكثر بَدَاهِيَّةً. هذه هي أبسط وأضمن طريقة لدخول عالم الروح والاقتراب من الله. غالبًا ما يعتقد الإنسان أن الخالق يطالبه بأشياء عظيمة، وأن الإنجيل يصرّ على التضحية الذاتية الكاملة، وإلغاء شخصية الإنسان، وما إلى ذلك، كشرط للإيمان. يرتعب الإنسان كثيرًا من هذا حتى أنه يخشى التعرّف على الله، والاقتراب منه، فيخفي نفسه عن الله، غير راغب حتّى في النظر إلى كلمة الله. «إذ لا أستطيع فعل أي شيء مهم لله، فالأفضل أن أبقى بعيدًا عن الأمور الروحية، وأن أتوقف عن التفكير في الأبدية، وأن أعيش "بطريقة طبيعية"».

يوجد عند مدخل العالم الروحي «تنويم مغناطيسي من الأعمال العظيمة»: على الإنسان إمَّا أن يفعل شيئًا كبيرًا أو ألَّا يفعل شيئًا. وهكذا لا يفعل الناس شيئًا على الإطلاق في سبيل الله أو أرواحهم!

إنه أمر غريب للغاية – كُلّما اهتمّ الإنسان بأشياء الحياة الصغيرة، قلّت رغبته في أن يكون أمينًا أو نقيًا أو مُخلصًا لله في نفس الأشياء الصغيرة. وعلاوة على ذلك ، يجب على كل شخص أن يتبنّى موقفًا سليمًا تجاه الأشياء الصغيرة، إذا أراد أن يقترب من ملكوت السماوات.

مكوّنات هذا الموقف

١) الرغبة في الاقتراب: في هذا تتلخّص كل صعوبات الحياة الدينية. غالبًا ما يرغب المرء في الدخول إلى ملكوت السماوات بشكل غير متوقع، بطريقة عجائبية وسحرية، أو عن طريق الاستحقاق أي من خلال إنجاز أمرٍ عظيم. لكن لا هذا ولا ذاك هو الطريق الصحيح للعثور على العالم الأسمى. لا يدخل المرء حضرة الله بطريقة عجيبة فيما هو غير مبالٍ على الأرض لاحتياجات ملكوت الله وأبديته الساطعة، ولا يمكن لأحد أن يشتري كنوز ملكوت الله ببعض الأفعال الأبدية، مهما كانت الأفعال عظيمة. ومع ذلك، فإن الأعمال الصالحة والأفعال المقدسة ضرورية لكي يسمو إلى حياة أعلى، وإرادة مشرقة، ورغبة جيدة، وعلم نفس سماوي، وقلب نقي وعادل.

٢) كوب ماء: الحقّ الحقّ أقول لكم مَن أعطى واحدًا من هؤلاء الصغار ولو كوبًا من الماء البارد، باسم تلميذ (من تلاميذ الرب)، لا يفقد أَجْرَهُ. في قول الرب هذا التعبير الأعلى عن صغر الخير. «كوب من الماء». هذا ليس كثيرًا.

٣) التواصل بروح طيبة: في كل تواصل بين الناس لا بدّ أن يكون هناك روح خيّرة: هذه الروح هي المسيح ، صراحة أو خفية. «باسم تلميذ:» هذه هي الخطوة الأولى في التواصل مع شخص آخر باسم يسوع المسيح نفسه. كثيرٌ من الناسِ، ممن لا يعرفون الربّ والإلفة العجيبة باسمه، لكنهم يحتفظون فيما بينهم بمودة غير أنانية ونقية وإنسانية تجعلهم أقرب إلى روح المسيح.

٤) الخير الأصغر ضروري: في واقع الأمر ، فإن الخير الأصغر أكثر ضرورة للبشرية من الأعظم. يمكن للناس أن ينسجموا مع

حياتهم بدون الخير الأكبر. بينما بدون الأصغر لا يمكن أن تكون حياتهم موجودة. البشر يهلكون لا من نقص الخير الأكبر ، ولكن من قلّة الخير الأصغر. ليس الخير الأعظم أكثر من سقف مقامٍ على جدران من طوب الخير الأصغر.

إن الخير الأصغر والأسهل متروك على هذه الأرض من الخالق نفسه الذي أخذ على عاتقه الخير الأعظم. مَن يعمل الأصغر، يخلق – ومن خلاله يخلق الخالق – الخير الأكبر. من خيرنا القليل يصنع الخالق خيره الكثير. إذ كما أن ربنا هو الخالق الذي كوّن كل الأشياء من العدم، كذلك هو أكثر قدرةً على خلق الخير الأكبر أكثر من الأصغر.

من خلال هذا العمل الأصغر والأسهل، الذي يتمّ إنجازه ببساطة كبيرة، يعتاد الإنسان على الخير ويبدأ بالخدمة من كل قلبه وبإخلاص، وبهذه الطريقة يدخل في جو من الصلاح، ويترك جذور حياته في تربة جديدة، تربة الخير. إن جذور الحياة البشرية تتكيّف بسرعة مع هذه الأرض الجيدة، وعاجلًا لا يمكنها العيش بدونها...

٥) هكذا يخلُص الإنسان: من الصغير يأتي الكبير. «الأمين على القليل» يصير «أمينًا على الكثير».

المعنى الأخلاقي لنا: أن نضع جانبًا كل الاعتبارات النظرية كالتي تحظُر ذبح الملايين من النساء والأطفال والمسنين. ارضوا بإظهار حسّكم الأخلاقي من خلال عدم قتل كرامة قريبكم الإنسانية، لا بالكلمة، ولا من خلال التلميح، ولا بالإيماءة. لا تغضب على أخيك بَاطِلًا (مت ٥: ٢٢) أو في احتكاكات الحياة اليومية تقول عن قريبك ما ليس حقًا. هذه تفاهات، تغييرات صغيرة، بدون حساب؛ ولكن فقط حاول أن تفعل هذا وسوف ترى ما يأتي منه.

٦) الصلاة: الصلاة صعبة في الليل. لكن حاول في الصباح. إذا كنت لا تستطيع أن تصلي في المنزل فعلى الأقل أثناء ركوبك إلى مكان عملك حاول الصلاة الربية «أبانا» بفكر نقي وَدَعْ كلمات هذه الصلاة القصيرة تتردَّد في قلبك. وفي الليل سلّم نفسك بأمانة كاملة في يد الآب السماوي.

هذا بالفعل سهل جدًا. أعطِ كوبًا من الماء البارد لكل من يحتاج إليه؛ أعطِ كأسًا فيّاضة مع رفقة إنسانية بسيطة لكل من يفتقدها ، الرفقة الأكثر بساطة...

في طريق الأشياء الصغيرة العجيبة، أنشد لك ترتيلة! أحيطوا أنفسكم أيها الناس، انشدوا أنفسكم بأعمال خير صغيرة – مع سلسلة من المشاعر الصغيرة والبسيطة والسهلة والجيدة التي لا تكلّفنا شيئًا، سلسلة من الأفكار والكلمات والأفعال الساطعة. دعونا نتخلّ عن الكبيرة والصعبة. هذه لهؤلاء الذين يحبونها وليست لنا نحن الذين لم نتعلّم بعد أن نحبّ المحبة الكبرى، الذين جعل لهم الرب برحمته المحبّة الصغرى في كل مكان مجانية كالماء والهواء.

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❀ وَسُئِل القديس باسيليوس: هل نستعمل الطبّ والدواء الطبي؟

✝ – الطب صناعة نافعة وهبها الله لنا، لاحتياجاتنا إليها، كما وهبنا الزراعة والصناعة والحياكة والبناء وباقي الصناعات.

✝ – وبها نداوي أمراضنا الجسمانية والنفسيّة. وهل لو بقينا في الفردوس (جنة عدن) كُنَّا نحتاج لعلاج طبّي؟

✝ – الحشائش (الطبيّة) المستعملة في الأدوية أَنبتها الله لمنفعتنا.

✝ – يجب أن نستعمل الطب، ولكن من الخطأ الاتكال عليه كسبب وحيد للشفاء. (ملحوظة: يجب أن يسير العلاج الروحي والطبي معًا، لكي يتمّ شفاء الجسد والروح بأكمل وجهٍ).

✝ – تتنوَّع طُرق الله في معاملة المَرضَى سواء بالروح أم بالجسد.

✝ – لا نرذل صناعة الطب والأدوية، لأن البعض يُسيء لاستعمالها.

وسُئِلَ القديس باسيليوس عما يلي:

ما هي اسباب الامراض بصفة عامة؟ وأيضًا الأمراض التي تصيب القديسين؟!

هل كُل الامراض تفيد فيها صناعة الطب والدواء ؟

كيف تُساعدنا صناعة الطب على النُّسك؟

هل يليق بصورة العبادة استعمال الطب إذا مَرِضَ بعض الأخوة (الرهبان) ؟

فأجاب القديس وقال:

✝ – كل الصناعات وهبها الله لنا معونة لضعفنا. فأعطانا الفلاحة، لأن النباتات التي تنمو بدون زراعة لا تكفي الجنس البشري، وأعطانا موهبة صناعة الحياكة (الخياطة) لعمل ملابس تقينا وتحمينا بالمواسم المختلفة، واعطانا حرفة البناء للمساكن، وهكذا باقي الصناعات من أجل تلبية الاحتياجات البشرية.

✝ – وقد اعطانا الربّ صناعة الطب، لمعالجة الأوجاع الجسدانية الكثيرة المختلفة (الامراض) التي يعاني منها الجسم بين حينٍ وآخر.

✝ – كما يساعد الطب في شفاء أمراض نفسية، وهناك أدوية تَحِدّ من الشهوة الجسديّة.

✝ – ولو بقينا بالفردوس لما احتجنا إلى تعب وعرق في أعمال الزراعة، معتوقين من الألم والأوجاع، إلّا أنَّ الخطيئة قادت الجنس البشري إلى طريق الموت المقرون بالتعب والألم والمعاناة .

لقد وجدنا الفردوس*

الأرشمندريت أميليانوس
رئيس دير سيمونوبترا

الجزء الثاني والأخير

إعداد راهبات دير مار يعقوب
الفارسي المقطع – دده، الكورة

٢ – الوقوف أمام الله (تتمة من العدد السابق)

كيف يجب علينا، إذًا، أن نقف أمام هذا الفردوس الحاضر في السماء وفي داخلنا؟ وما الوسيلة التي اتّخذها أجدادنا حتّى دخلوا إلى الفردوس؟ كيف وُجد آدم وحواء في الفردوس؟ كانا عريانين ولم يخجل الواحد أمام الآخر: «وكانا كلاهما عريانين آدم وزوجته وهما لا يخجلان» (تكوين ٢: ٥). لندخل إلى الفردوس القديم ونقابله مع فردوسنا الخاصّ. «كان الإنسان الأوّل عريانًا مُغلَّفًا بالنعمة الإلهيّة، حياته بسيطة وعفويّة» (**عن القدّيس غريغوريوس اللاّهوتيّ في مقالته الخامسة والآربعين عن الفصح المقدّس**)، ولم تكن لديه مهنة. محبّته لله فطريّة، وتصرّفاته من دون تكلّف أو إرغام. حرًّا، ولم يكن يحتاج إلى شيء، لأنّ الله كان كلّ شيء بالنسبة إليه. كان عاريًا كالطفل الذي يُقدَّم إلى جرن المعمودية، ويُغطَّس في مياهه وهو عار. إنّ تَعَرّيَ الإنسان الأوّل يجعلنا نفهم معنى سرّ النذر الرهبانيّ. فالتعرّي بالنسبة إلى الراهب يُصوَّر في الرأس المُعرّى المكشوف. كانوا في الماضي يمارسون قصّ الشعر بجملته عند الرجال والنساء على حدّ سواء لكي نتذكّر العُرْيَ القديم، وإنّه علينا أن نستردّ ما خسرناه قديمًا في الفردوس بنزعنا كلّ رباط يصلنا بالعالم. نحن من أبناء الفردوس ولسنا من «**العالم**»، ولذلك يتعرّى الرهبان من «**لباس**» العلاقات الاجتماعيّة والمعارف والآراء والإرادة والخبرات الماضية العالميّة. ينسى الراهب الكلّ، ويترك الكلّ لأنّه لا شيء ممّا هو في العالم له قيمة بحدّ ذاته داخل الدير. الشيء الوحيد المهمّ هو: كيف أعمل لكي أُنَمّي في داخلي المحبّة الإلهيّة وأزيدها اضطرامًا، وأفسح مكانًا لسكنى النور الإلهيّ. لا حماية للراهب الساكن في الدير سوى **الله**. أتعلمون بأنّه ممنوع على راهب أن يشتكي على راهب آخر أمام السلطات، وإنْ سبّب له الأذى أو أخطأ تجاهه؟ لماذا؟ لأنّ الله هو المُدافع الوحيد عنه داخل الدير، هو السور المنيع الذي سبق وتحدّثنا عنه. لا نبالي إن حكموا علينا ظلمًا، فالله يدافع عنّا. نحن كبشر نبدو متروكين وحيدين لا مُعين لنا، ولكنّنا أحرار. نحن لا نخجل من هذا التعرّي الذي دعانا الله لنعيش فيه، لأنّه يحوّلنا أنقياء من الدنس. ولكن، لكي نبلغ إلى هذه الحالة، علينا، بالدرجة الأولى، أن نعمل عمل الملائكة، أي تمجيد الخالق من دون توقّف. اهتمامنا الأوّل، إذًا هو التسبيح والعبادة الإلهيّة وعيش الأسرار المسيحيّة لنكون في شركة دائمة معه. زد إلى ذلك القوانين الشخصيّة والتأمّل في الكتب الروحيّة، وممارسة الاعتراف لدى الأب الروحيّ. هذه الجهادات والتداريب كلّها التي يحياها الإنسان في الخفاء أو في المخدع، والراهب في قلاّيته، تساعد على تنقية النفوس من أدران الخطيئة. وهذا ما أشار إليه السيّد بقوله: «أمّا أنت، فإذا صَلَّيْتَ فادخل حُجرتك وأغلق عليك بابها وَصَلِّ إلى أبيك الذي في الخفية ...» (متّى ٦: ٦). ومن نافل القول إنّنا نختبر في الصلاة وممارسة الأسرار الكنسيّة ما رنّمه، يومًا، صاحب المزامير: «ألقِ على الربّ همّك وهو يعولك.» فلتكن، إذًا، مشيئة الربّ في كلّ أمر يراه هو مناسبًا وموافقًا لحياتنا. هذا هو مبدأ الحياة الرهبانيّة الأساس، وبه يصير الإنسان حرًّا من كلّ قيد ليحلّق نحو السماويّات. ويجب ألّا يسهو أنّ للتعرّي ميزة سرّيّة، لأنّه يعني التجرّد من أفكارنا وخيالنا ومن كلّ العالميّات الباطلة التي نحتجزها داخلنا، ومن كلّ ما يدنّس قلوبنا، ويجرّها من اليمين إلى اليسار، فتدنّس النفس. فإنْ تعرّى الراهب من الله لكي يلبس عوضًا منه الأفكار الدنيويّة يكُنْ قد انحرف إلى اليسار.

كم هو حسن أن نقتدي بما حدّده **الرسول بولس** بقوله: «وأنتم تعلمون أن يديّ هاتين سدّتا حاجاتي وحاجات رُفقائي» (أعمال: ٢٠: ٣٤). يعني أنّ الدَّيْنَ الواجب تسديده تجاه الله، وتاليًا تجاه الكنيسة، هو أن يمسي الإنسان نفسه كنيسة. علينا أن نصير ذلك الإنسان التي تحتاجه الكنيسة أي أن نضع ذواتنا في خدمة الله، باذلين ذواتنا كما وضع هو ذاته من أجل خلاصنا. تَوْقُ المؤمن الحقيقيّ الوحيد هو الابتهاج بالربّ، وأن يبقى على علاقة متينة به، فالله يُسرّ برغبات الإنسان الصالحة. هذه هي الوسيلة التي بها تجعل حياتنا الروحيّة سهلة، وتحدّد لنا دورنا. فدورنا يظهر في كلّ ما يساهم في خلاص نفوسنا: في

أعمالنا، في مهنتنا، في تصرّفنا مع عائلتنا... الله يدعونا لكي نقتفي أثره بما أنّه سكن فينا وأمسينا مسكنًا له. يقول **القديس باسيليوس الكبير**: «عندما يتناول أحد، باستمرار، الأسرار المُقدّسة يصبح وكأنّه صار يملك أكثر من حياة». إنّ نعمة الروح القدس تفعل فينا عبر أعمالنا الصالحة وعلاقاتنا الحميمة بالله وبالآخر، ويستمرّ هذا الفعل بقدر ممارستنا للأسرار المقدّسة، فيجعلنا نكتشف داخلنا مجالات عدّة ومنافذ متنوّعة تفضي بنا إلى الفردوس. لم يعرف آدم فسادًا عندما كان يحادث الله، ولكن عندما دخلت الحيّة بينهما وفصلته عنه، أصبح قابلًا للفساد وللانحلال. ظلّ الإنسان يُحادث الله حتّى ظهرت الحيّة مريدة أن تلغي الفردوس وتبعد آدم عنه، ونجحت مشورتُها الرديئة وأسقطته في العصيان. أمّا نحن، فلنجتهد بقدر استطاعتنا، بألّا تنقطع محادثتنا مع الله في فردوسنا الأرضيّ.

يقول سفر الرؤيا: «والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليُضيئا لها، لأنّ مجد الله أضاءها، وسراجها هو الحمل» (٢١: ٢٣). لا يتعاقب النهار والليل في المدينة السماويّة أي إنّه لا مكان للفساد وللموت فيها بعد. لا يوجد شمس ولا قمر، لأنّ كلّ شيء بات نورًا، لا يوجد سوى الله النور الذي لا يعروه مساء، النور المشرق في فجر القيامة المجيد.

٣- ما هو عملنا؟

ما هو العمل الذي يجب أن نتمّمه في الفردوس؟ ماذا فعل جدّانا الأوّلان قبلًا؟ من البديهيّ القول إنّهما كانا يعملان، لأنّ الله وضعهما في جنّة عدن لكي يحرثاها ويحفظاها: «فأخذ الربّ الإله آدم وجعله في فردوس عدن ليفلحه ويحفظه» (تكوين ٢: ١٥). انعكس جلال الله وعظمته على الطبيعة، فكانت النباتات تخبر بجمال الله وقداسته ببساطة. ما طلبه الله إلى الإنسان بقوله له أوّلًا: «تفلح البستان في عدن» يعني إن أردنا الحياة مع الله علينا أن نعمل. من لا يعمل هو إنسان تَعِسٌ في مجالات حياته كلّها حتّى الروحيّة منها، لذا، فالعمل أمر محتّم. ثمّ أمره ثانيًا: «من جميع شجر الفردوس تأكل» (تكوين ٢: ١٦). لا تنذهلوا من أنّ الأكل هو عمل روحيّ أيضًا، فنحن كما سبق وقلنا، نقصد هنا المعنى الحسّيّ والمدرك للفردوس. إن أكل آدم في الفردوس من ثمار الشجر الفردوسيّ يُصوِّر لنا مسبقًا قول الربّ: «خذوا كلوا هذا هو جسدي، إشربوا منه كلّكم هذا هو دمي ...» (متّى ٢٦: ٢٦-٢٧)، هو صورة مسبقة عن الغذاء السماويّ، أي عن شركتنا مع الله واتّحادنا به. لم يتغذّ آدم جسديًّا عندما تناول من ثمار الفردوس فقط، وإنّما كان يمتصّ الألوهيّة أيضًا. صار الطعام وسيلة للشركة مع الله. بكلمات «خذوا كلوا» يذكّرنا الربّ بحالة الإنسان قبل السقوط في الخطيئة، والتي نعود إليها عبر اشتراكنا في أسرار الكنيسة.

يهدف عمل الأكل والشرب إلى رفع الإنسان إلى مستوى الشكر والاقتراب من الله. نتغذّى من العقائد الإلهيّة، ومن حياة الآباء وصلوات القدّيسين، فننال البهجة، ونعيش فرح الفردوس الإلهيّ. «نأكل الله ونشربه» في الكنيسة، ونسكر من محبّته يوميًّا، فيصير ملكوته أقرب إلينا. أترون كيف أنّ أصغر الأعمال، كتناول الطعام، تفضي إلى الشركة مع الله؟ نظّم الله الأشياء كلّها لكي يُذكّرنا بحضوره، ولم يُحدِّد الله إلّا تحريمًا واحدًا بقوله: «فأمّا من شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها» (تكوين ٢: ١٧). لم يستطع آدم أن يتذوّقها لأنّه لم يكن مستعدًّا بعد، إذ يجب أن يعرف الأسرار التي حدّدها الله منذ الدهور، وينضج في الطاعة. كذلك الحال بالنسبة إلينا، فنحن نختبر هذا الاستعداد، أيضًا، عندما يضع علينا الأب المعرّف قانون توبة لنطبّقه خلال ستّة أشهر أو سنتين أو خمس سنوات، مختبرًا بذلك طاعتنا وتوبتنا. أمّا نحن فنُظهر بخضوعنا، تصميمَنا على العودة وإصلاح ذواتنا وتحسين سيرتنا. الطاعة إذًا ضروريّة، إذ بها نزداد عمقًا ونضوجًا، وندخل في حياة الكنيسة السماويّة مع كلّ ما يمتّ إليها بِصِلَةٍ من رموز وصور و...، ينتصب في أعلاها المسيح، شجرة الحياة.

ويقول لنا سفر الرؤيا أيضًا بأنّه يوجد في الفردوس مكان واسع شاسع: «وفي وسط ساحتها وعلى ضفتَي النهر شجرة الحياة...» (رؤيا ٢٢: ٢)، ويقصد بأنّه ما يزال هناك مكان لنا. ثمّ نقرأ: «وأراني نهر ماء الحياة صافيًا كالبلوّر خارجًا من عرش الله والحمل» (رؤ ٢٢/١)، وهنا يتكلّم القدّيس يوحنّا اللاهوتي بوضوح عن النعمة الإلهيّة التي تغمر الفردوس، وأمّا جريان ماء النهر فيمرّ في قلوبنا، وترتوي أعماقنا بالنعمة الإلهيّة في كلّ وقت وساعة، ويصير الله سيّد قلوبنا. تتفجّر النعمة من المياه حيث العرش السماوي أي تنبع من حيث يوجد الله، منبع الحياة كلّها.

قبل أن يخلق الله حوّاء وضع الحيوانات في الفردوس لكي تُعلِّم آدم. أيّ مُربٍّ كبير هو إلهنا! فعندما رأى آدم كيف تتآلف الحيوانات مع بعضها البعض في الفردوس تعلّم منها الحياة الاجتماعيّة. من هنا نعلم أنّ حياة المجتمع بدأت في الفردوس هناك، حيث يوجد نموذج عن الحياة الأبديّة، حياة الملكوت. لذلك لحياتنا الاجتماعيّة دورٌ بارزٌ ومهمّ في نيل الفردوس. قبل أن يعطي اللهُ المرأةَ لآدم قدّم له الحيوانات ليطلق عليها أسماءها: «وجبل الربّ الإله من الأرض جميع حيوانات البرّيّة وطير السماء، وأتى بها إلى آدم ليرى ماذا يسمّيها. فكلّ ما سمّاه به آدم من نفس حيّة له اسمه» (تكوين٢: ١٩). أراد الله أن يرفع آدم، ويجعله الملك الذي يسود على الحيوانات ويسمّيها بأسمائها، ولكن عندما رأى آدم بأن كلّ جنس من الحيوانات بدا زوجين زوجين ويعيش حياة مشتركة، وعى عندئذ وحدته. تكاثرت الحيوانات مكوّنة قطعانًا عدّة، وأمّا آدم فما زال وحيدًا، فشعر بحاجته إلى مُعين آخر. وعندها قال الله: «لا يحسن أن يكون الإنسان وحده، فأصنع له عونًا بإزائه»

(تكوين ٢ : ١٨)، فخلق له المرأة. المسألة ليست مسألة فيزيائيّة، إنّها تدريب على معرفة الأسرار. الزواج ليس حالة ماديّة، بل هو جسر يوصلنا إلى المسيح متى غدا ملكوتًا وفردوسًا. وهنا أودّ أن أذكّركم بقول **النبيّ ملاخي** حول هذا الموضوع: «وهي خليلتك وزوجة عهدك» (ملاخي٢:١٤)، أي لا يكون لك إلّا امرأة واحدة تمسي رفيقة دربك. لا يتوقّف الله على هذا، بل يرغب أن يكون هذا الاتّحاد علامة لحضوره، اتّحادًا لا ينفصم: «ولا يخونن أحد منكم زوجة شبابه» (ملاخي ٢ : ١٥)، لأنّ الربّ يُبغض الطلاق. الزواج إذًا لا ينحلّ، لأنّ الزوجين يؤلّفان مع أولادهما الكنيسةَ وجزءًا من الفردوس. أترون إلى أيّة مرتبة رفع الله شأن الزواج؟ يبتغي الله بأن يغدو النجاح عنوان بيوتنا وعائلاتنا، وبأن تشكّل أفراد العائلة جسمًا واحدًا، لأنّه من غير الممكن أن نكون على صورة الله الواحد، إن لم نكن جسدًا واحدًا مع باقي الأفراد الذين ننتمي إليهم وينتمون إلينا، ولهذا السبب قال **سليمان الحكيم**: «إشرب ماء من جبّك ومياهًا جارية ممّا في بئرك. لتفض ينابيعك إلى الخارج، سواقي مياه في الشوارع... وليكن منبعك مباركًا وافرح بامرأة حداثتك...» (أمثال ٥ : ١٥-١٧). يذكّر **النبيّ سليمان** هنا المتزوّج بأن يكتفي بزوجة واحدة لأنّنا خُطبنا لله الواحد. جميل أن نرتوي ممّا تقدّمه لنا الكنيسة، فهي التي تُساعد على نموّ حياتنا الروحيّة. وما ينطبق على الزواج ينطبق أيضًا، على الحياة الدَّيْرِيَّةِ حيث ينتفي الانقسام، ويمسي كلّ شيء مشتركًا، وهكذا يصير الدير جسدًا واحدًا باتّحاد الحرّيّات المختلفة، وبذل الذات الطوعي محبّة بالله.

ليس ضروريًا أن يحصل الاتّحاد بين شخصين مختلفي الجنس، إنّما هو بالأحرى، شركة مع الآخر واندفاع نحوه، ليسيرا معًا إلى الله موضوع اشتياقهما. فنحن لن نجد الراحة البتّة، إن لم يصبح **المسيحُ** «العريسَ» و«الختنَ»، والكنيسةُ الزوجةَ والقرينةَ. ففي الزواج، كما الحياة الرهبانيّة اندفاع أخرويّ، لهما طريق ارتقاء واحد نحو الكمال والفردوس الذي دخلناه، وننمو فيه ونتقدّم.

يقول صاحب المزامير:«سبحوا الربّ بأصوات التهليل» (مز٤٦:١)، و«اختارنا ميراثًا له، جمال يعقوب الذي أحبّه» (مزامير ٤٦ :٤)، وهذا يعني بأنّ الله أحبّ الكنيسة والفردوس وأعطانا إيّاهما. يجب أن ترنو عيوننا إلى العالم الآخر، ولا ننسى بأنّنا دخلنا الفردوس ويجب ألّا نتراجع عنه. لا نحيا بعد كما لو كنّا أيتامًا نفتقد إلى أمّنا الكنيسة. لماذا نحن دائمًا مضطربون وقلقون وخائفون؟ لدينا **المسيح، فهو البئر** التي تروينا، والسور الذي يحمينا؛ إنّنا نملك الكلّ، فلا نَرْهَبَنَّ أمرًا. نحن أثمن في عيني الله من الذهب الخالص، والأحجار الكريمة لأنّنا أبناؤه. يتردّد هذا الكلام في مواضع عدّة من الكتاب المُقدّس لكي يستنهض أذهاننا المتراخية، ويليّن قلوبنا القاسية عساها تدرك، ولو جزءًا بسيطًا، من هذا الجلال. فماذا علينا عمله إذًا لنكون أوفياء لهذا الجمال الذي حَبَتْنَا به النعمة الإلهيّة؟ فلنجعل من حياتنا فردوسًا. يحيا الرهبان حياتهم كلّها لله، فلنقتدِ بهم، وإن كنّا ما نزال نحيا في **الخطيئة**. لقد وهبنا الله سلامه، وفتح لنا كنوزه كلّها لنتشدّد بالثقة، ونحيا بالرجاء والفرح والإيمان باسمه وبأعماله.

لمّا ارتكب **قايين** الجريمة الأولى بقتله أخاه **هابيل**، وكانت يداه ما تزال مضرّجتين بدمه، لم يلمه الله على فعلته رغم معرفته بعدم توبته، بل دنا منه سائلًا: «أين هو أخوك هابيل؟» (تكوين ٤ : ٧). على هذا النحو يتصرّف الله معنا وفي أيّة حالة نكون فيها. هو حاضر لنجدتنا في كلّ أمر ومناسبة شرط ألّا نبتعد عنه. لنحاول أن نشعر أنّنا «خارج» العالم وفي العالم ولسنا من العالم وبخاصّة في عصرنا الحاضر! وهكذا نماثل الرهبان في نهجهم، ونلبث ثابتين بالروح والذهن وكأنّنا في الدير.

بالنسبة إلى الراهب، عالم الدير هو جماعة القدّيسين، وعالم الرجل المتزوّج هو عائلته التي يحيا بها وأفراد المجتمع وأعضاء الكنيسة، وكلّها أُطُرٌ للروح القدس تُندّي قلوبنا بالماء المحيي، وتغذّيها بالسلام الروحيّ، وتزوّدها بالإلهامات الإلهيّة شرط أن نبقى أوفياء للكنيسة ولتقاليدها. فالصوم مثلًا، فضلا عن أنّه وصيّة مقدّسة، تقليد حيّ في كنيستنا، فإن لم نمارسه فَلا نكون مسيحيّين حقيقيّين. كيف صعد **إيليّا** إلى السماوات؟ متى عاين **موسى الله**؟ كيف حصل **بولس الرسول** على الدعوة الإلهيّة؟ وكذا **برنابا**؟ متى رأى **بطرس** الرؤيا: «فرأى السماء مفتوحة وشيئًا يُشبه قطعة قماش كبيرة معقودة بأطرافها الأربعة تتدلّى إلى الأرض». (أعمال ١٠ : ١١) عندما كان صائمًا. الجميع إذًا صاموا. فلنحفظ نحن أيضًا ما وصل إلينا عبر **تقليد الكنيسة**.

تهدف الحياة الروحيّة، سواء كانت في الدير أو خارجه، إلى بلوغ كمال الملكوت، فلنتوغّل، إذًا، في الفردوس باتّجاه الشرق، فهو الدرب الوحيد الذي يوصلنا إلى ميناء الخلاص. الفردوس الأوّل كان قطعة في شرق الأرض، فأين هو الآن؟ لقد اختفى. وأين آدم الأوّل؟ ما عاد موجودًا. الفردوس الثاني هو الكنيسة، المكان الذي نتّحد فيه مع الله، إنّها السماء على الأرض. **وآدم الثاني، المسيح**، أين نجده؟ في كلّ صَقع، يكفي أن تمدّ يدك، وسوف تدركه وتلمسه. يقيم **المسيح** في هيكله أي في داخلنا، ما يشير إلى أنّ **آدم الثاني** يوجد حيث نكون نحن. الله لبس جسدنا وسكن فينا، فالفردوس إذًا داخلنا ونحن ممتلئون من حضوره الإلهي، فكيف يجوز لنا أن نرتكب الخطيئة بعد؟ كيف لا نشرب «الماء الذي ينبع من الحياة الأبديّة التي تفيض فينا؟» «أمّا من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد بل الماء الذي أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبديّة» (يوحنّا ٤ : ١٣-١٤). كيف لا نكون مُضيئين بهذا النور الذي يشعّ داخلنا؟ ينتظر الربّ بصبر وطول أناة جوابنا. أنّى وُجدنا، وإن كنّا خَطَأَةً، هناك يوجد الفردوس أيضًا. فلنشكر الله على عطيّته السَّنِيّة، ولنهتف بثقة قلب كاملة وضمير نقيّ: «نعم، لقد وجدنا الفردوس! لقد اكتشفناه! إنّه في داخلنا! أريد أن ألبسك باستمرار يا إلهي، لكي أصير مسكنًا لك، وأكون فردوسك أنت فرحك وسعادتك، بما أنّك ملأت قلبي من طِيْبِ محبّتك، أنت هو ملاذي وفردوسي».

* من كتاب: (sous les ailes de la colombe) Catechéses et Discours.Archimandrite Emilianos. محاضرة ألقيت في ١٩ آذارا من العام ١٩٨٧

هَلُمُّوا نتصافح في الصوم الكبير

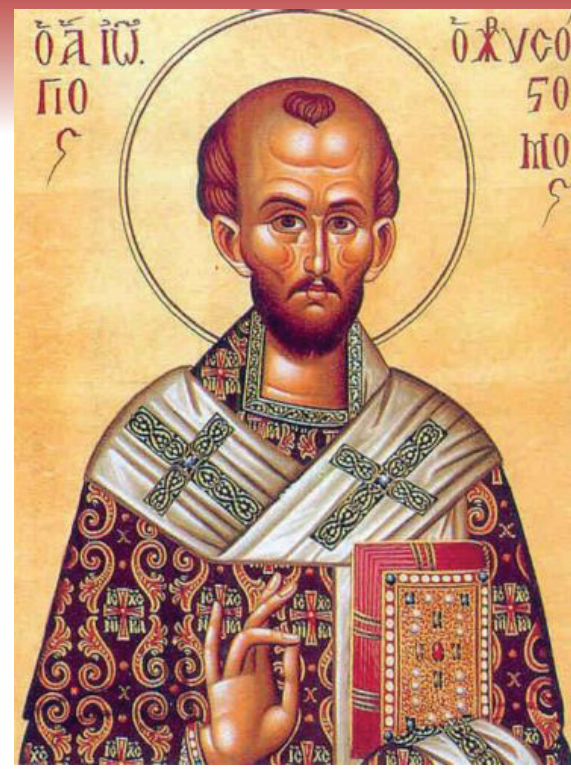

للقديس يوحنا الذهبي الفم

هدف هذا الصوم:

لقد أشرف الصوم الكبير على نهايته(١)، وعلينا أن نسعى بشغفٍ أكثر نحو القداسة. لأنه إذا فَقَدَ الراكضون في السباق الجائزة، تصير جولاتهم بلا فائدة. وهكذا لن تكون لأتعاب الصوم أية منفعة إنْ لم نتمكَّن من التمتُّع بالمائدة المقدَّسة (التناول) وبضميرٍ صالح. لأن الصوم الكبير قد وُضِعَ لهذا الغرض، وهكذا أيضًا الاجتماعات والصلوات والتعاليم المتنوعة، وذلك حتى نتنقَّى باشتياقٍ روحي وبكل وسيلة مُمكنة من الخطايا التي سقطنا فيها طوال العام كله. وبذلك يُمكننا أن نشترك بجُرأةٍ روحية في هذه الذبيحة المقدَّسة، لأننا إنْ لم نصل إلى هذه النتيجة، نَكُنْ قد تكبَّدنا في صومنا مشقةً باطلة وبلا منفعةٍ.

إذًا فَلْيَنْظُرْ كل واحدٍ إلى نفسه، أي عيبٍ فيه قد أَصلحه، وأي عملٍ صالح قد بلغ إليه؛ أيَّة خطية قد تخلَّص منها، وأيَّة وصمة في حياته قد أزالها، وفي أيَّة ناحيةٍ قد صار أفضل مِمَّا كان عليه. فإذا اكتشف أنه اكتسب شيئًا بواسطة الصوم، وصار مُتيقِّظًا لنفسه باحتراسٍ أكثر من سقطاته؛ فَلْيَتَقَرَّبْ إلى الأسرار (المقدَّسة). أمَّا إذا ظلَّ في جهالته، وليس عنده شيءٌ سوى مظهر الصوم بدون عمل أي صلاحٍ، فليظل خارجًا(٢)؛ وعندما يُزيل من حياته كل المُعَوِّقات، فليدخل ضمن المتناولين.

ليت كل واحدٍ لا يجعل أمله مُعلَّقًا على مجرد الصوم، في حين أنه مستمرٌّ في عدم إصلاح طُرُقه الخاطئة؛ لأنه إنْ كان يمكن أن يأخذ الإنسان حِلًّا بعد الصوم لأيِّ سببٍ جسداني قهري، فمِنَ المستحيل أن يكون له عُذرٌ في عدم إصلاح أخطائه. فإنْ كنتَ لا تصوم لسببٍ جسداني، فأخبرني لماذا لا تصطلح مع أعدائك؟ هل لك أن تَدَّعي أن هذا بسبب ضعفك الجسداني؟ لو أَبقيتَ في قلبك **حسدًا أو حقدًا**، فأي عُذرٍ لك؟ أجبني! لقد أحبَّ المسيحُ الإنسانَ رغم كل عيوبه، فالمحبة التي هي الوصية الرئيسية مع بقية الوصايا التي تصون حياتنا، لا ينبغي أن تفسد أو تضعف، ولو قليلًا، بسبب ضعف الجسد.

خَطِيَّةُ الحقد:

الحقد هو خطية مستمرة، لأن أيَّة خطية أخرى تتمُّ في حينها وتنتهي، ويمكن لمن سقط فيها أن ينال بالتوبة الصادقة راحةً في ضميره؛ أمَّا الحاقد فهو في حالة سقوطٍ مستمر في نفس هذه الخطية كل يوم، وإذا لم يُنهِها بالتصالُح مع عدوِّه، فكيف يأخذ الأسرار المقدَّسة، ويتمتَّع بها؟ كيف يطلب من الربِّ أن يرحمه ويغفر له، في حين أنه لم يغفر لأخيه الإنسان؟!

ربما يكون خصمك قد عاملك حقًّا باحتقارٍ، ولكنك أنت أيضًا قد عامَلتَ الله باحتقارٍ عدَّة مراتٍ! وأي مقارنة بين العبد والسيِّد؟ فالعبد رفيقك ربما عندما تأذَّى، شتمك وأنت حقدتَ عليه؛ ولكنك أنت شتمتَ الرب في حين أنه هو لا يُعاملك بالظلم ولا بالحقد، بل إنك تأخذ بركته كل يوم.

فلو تصوَّرنا أنَّ الله أراد أن يرصد بغضبٍ كل ما يفعله كل إنسان ضده، فلن يعيش أحدٌ منَّا يومًا واحدًا، لأن النبي يقول: «إنْ كنتَ للآثام راصدًا يا رب، يارب مَن يثبت؟» (مز١٢٩:٣)؛ وإذا أحصينا كل خطايانا الخفية والظاهرة، فماذا يكون نصيبنا الذي نتوقَّعه؟ وماذا سيكون حالنا لو فحص الله بتدقيقٍ عن فتورنا وإهمالنا في صلواتنا؛ وكيف أننا أثناء وقوفنا أمام الله وابتهالنا إليه لا نُبدي المخافة والتوقير لجلاله كعبيد إزاء سيدهم، وكجنود إزاء قوَّادهم، ولا حتى كأصدقاء تجاه أعزَّائهم. فأنت عندما تتحدَّث مع صديقك العزيز، تهتمُّ جدًا بما تقوله؛ في حين أنك عندما تُخاطب الله بخصوص خطاياك، طالبًا المغفرة عن عثراتك الكثيرة، فأنت تظنُّ أنك ستنال الغفران، في حين أنك تُخاطبه بفتورٍ! وبينما تكون ساجدًا على الأرض، تسمح لفكرك أن يجول في كلِّ مكان، وأنت تهذي بفمك باطلًا وبلا هدف! هذا كثيرًا ما يحدث معنا. فلو فحص الله بتدقيقٍ عن كلِّ هذا، فهل تظنُّ أننا سننال مغفرة، أو يمكننا أن نجد أيَّ عُذرٍ؟ لا أظنُّ طبعًا!

بل ماذا يكون الحال لو أنَّ الكلام الشرير الذي نقوله كل يوم ضد بعضنا البعض، يصير شاهدًا ضدنا؟ كذلك **تَسَرُّعنا في الدينونة التي نحكم بها على الآخرين**، وذلك بلا سببٍ سوى أننا **مولعون بملامة الآخرين**، وبالبحث عن أخطائهم. أقول: ماذا يمكننا أن نتذرَّع به

دفاعًا عن أنفسنا؟ كذلك لو فحص الله بتدقيقٍ عن نظراتنا الطائشة وميولنا الشهوانية التي تملأ قلوبنا، فتصير أفكارنا مُنحرفة، وعيوننا متجوِّلة في نظراتها إلى أشياء غير لائقة؛ فأي عقاب سيُواجهنا مِمَّا لا نحتمله؟ ولو طلب الله سببًا لشتائمنا، فكيف يُمكننا حقًّا أن نفتح أفواهنا لنُجيب بأيِّ شيء؟ إنه يقول: «مَن قال لأخيه: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم» (مت ٥: ٢٢)، وأكثر من ذلك، إذا دقَّقنا نحن أنفسنا – ولا أقول الله – في اشتهاء المجد الباطل الذي نشعر به في صلواتنا وأصوامنا وصدقاتنا، فهل يُمكننا أن نرفع عيوننا نحو السماء؟!

أما **بخصوص الخِدَع التي نُدبِّرها الواحد ضد الآخر**، فنمدح أخًا في وجوده ونُحادثه كأنه صديق، ثم نشتمه في غيابه، فهل يُمكننا احتمال عقوبات الله ضد كل هذا؟ ثم **ماذا عن القَسَم أو الكذب**؟ وماذا **عن الغضب الباطل أو الحسد** الذي به نغتاظ من ذوي المراتب العالية؛ ليس من الأعداء فقط، بل حتى من الأصدقاء؟ بل ماذا عن سرورنا لضرر الآخرين (**الشماتة**)؟... وماذا عن تقصيرنا في حضور الاجتماعات الروحية، وعدم انتباهنا لكلام الله فيها؟ فلو جازانا الله عن كلِّ هذا، فهل يكون لنا رجاء في الخلاص؟!

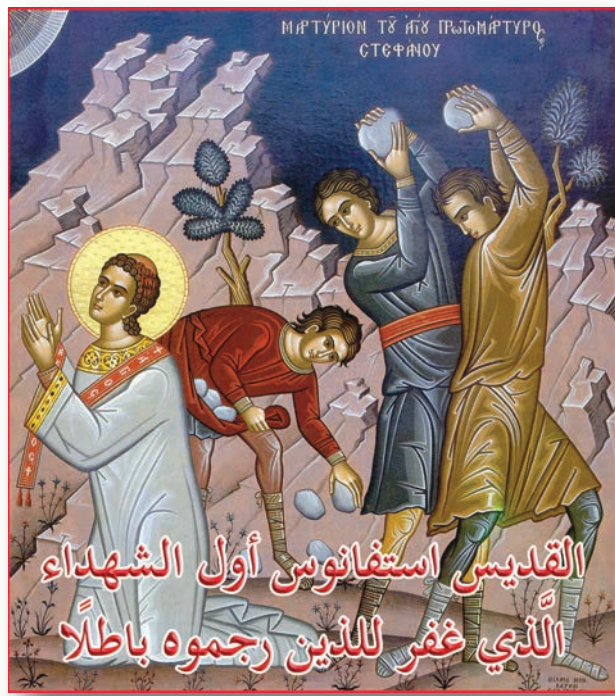

لو قدَّرنا هذا الكلام بدقَّةٍ لأدركنا بشاعة خطايانا، وبأننا نُعامِل الله بأقل جدًا مِمَّا نُعامِل أي حاكِم أو رئيس على الأرض! ولكن الله، بينما يُعامَل هكذا بازدراءٍ كل يوم، وذلك ليس من البعض منَّا بل منَّا جميعًا؛ فهو لا يزال يصبر علينا ويُقاسي الكثير منَّا! ولا ننسى أنَّ هناك خطايا أكثر بشاعة من التي ذكرناها. فلو تذكَّرنا خطايانا العديدة وشناعتها، لَما استطعنا أن نتذكَّر الأضرار التي يُصيبنا بها الآخرون!

«اغفروا يُغفَر لكم»:

ضعوا في أذهانكم **لهيب النار والدود السَّامَّ بعد الدينونة المُخيفة** حينما يصير كل شيء عُريانًا ومكشوفًا! تذكَّروا دائمًا أنه في ذلك اليوم كل ما هو مُخْفَىً الآن سيُسلَّط عليه الضوء! أما إذا غفرتَ لأخيك، فكل خطاياك التي تطلب غُفرانها ستُغفر لك، ولن تنوء بحمل كل سلسلة تعدِّياتك. وهكذا فإنك ستُعطَى أكثر كثيرًا مِمَّا أعطيتَ. ينبغي أن نعلم أننا سنُصعق وتختنق ضمائرنا عندما نرى أنَّ جميع خطايانا الخفية التي لم يَعلَمها إلَّا فاعلها والله، ستُكشَف للجميع في ذلك اليوم الرهيب. وبالرغم من شناعة هذا العار والخِزْي، ورغم أن جزاءاتنا ستكون بقدر بشاعة خطايانا، فيُمكننا أن نتخلَّص من كلِّ ذلك بغفراننا للآخرين!

أَتريد أن تتحقَّق من قوة مُصالحة الآخرين كفضيلة مُرتبطة بغفران خطاياك أنت؟ اقرأ قول الرب: «وإن وقف موسى وصموئيل أمامي، لا تكون نفسي نحو هذا الشعب. أطرحهم من أمامي» (إر ١٥: ١). فغضب الله الذي لم يستطع **موسى وصموئيل** أن يرفعه عن هؤلاء الناس، تستطيع هذه الوصية إذا نُفِّذَت أن ترفعه. إنه يحثُّ الناس باستمرارٍ قائلًا: «لا يُفكِّرنَّ أحد في السوء على قريبه في قلوبكم، ولا يذكُرنَّ أحد منكم في قلبه أذية أخيه له» (زك ٨: ١٧؛ ٧: ١٠ – حسب السبعينية). إنه لم يُوصِ بمجرَّد أن تمتنع عن الغضب، بل ألَّا تُبقيه في قلبك. لأنك بينما تظنُّ أنك تجازي أخاك شرًّا عن شرِّه؛ فأنت في الحقيقة تُعذِّب نفسك، وتُشعل غيظك منه، وتُمزِّق أحشاءك، لأنك تُنفِّذ فيه حُكْم الإعدام في قلبك! فما أتعس الإنسان الذي لا يكفُّ قلبه عن الغضب، إنه لا يسعد أبدًا بالسلام في حياته!

فإذا كانت جهنم لا تُهدِّد المتعض من الآخرين، فعلى الأقل يتخلَّص من هذا العذاب في قلبه ويغفر لمَن أحزنه! ولكن إذا كانت العذابات الخالدة تنتظره، فكم يكون مُجرَّدًا من الفهم إذا جلبها على نفسه بتفكيره في الانتقام من عدوِّه! بل إنَّ الكتاب يقول أيضًا: «لا تفرح بسقوط عدوِّك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر» (أم ٢٤: ١٧)، لأنك إذا فعلتَ هذا، فمعنى ذلك أنك غير مُدرِكٍ لأخطائك، وأنت لا تضع أمام عينيك، لا جهنم ولا خوف الله!...

لا تنتظر عدوَّك حتى يأتي إليك ليُصالحك، لأن الذي يذهب أولًا هو الذي يجني الثمر كله. فاطرحْ عنك الخجل، ولا تؤجِّل ذهابك إليه لتُصالحه لئلا تخسر حياتك، بل ستكون أنت الرابح للمكافأة كلها!

ليس لنا عُذر في هذه الخطية:

إنْ قلتُ لك: «مارِس الصوم»، فربما تتمحَّك بضعف الجسد؛ وإنْ قلتُ لك: «أعطِ الفقراء»، فربما تقول: «**أنا فقير وأعول أولادًا**»؛ وإنْ قلتُ لك: «اهتم باجتماعات الكنيسة»، فربما تعتذر بالمشاغل الدنيوية؛ وإنْ قلتُ لك: «اصْغِ إلى كلام الله، واعملْ بما تعلَّمته»، فربما تقول: «**يعوزني فَهم أكثر لهذه التعاليم**»؛ وإنْ قلتُ لك: «ارشدْ الآخرين إلى الصواب»، فستقول: «**كثيرًا ما نصحتهم، فلم يقبلوا، واحتقروا كلامي**»! كل هذه الحجج تدلُّ على فتورك، ولكن هَب أني قلتُ لك: «تَخلَّ عن غضبك»، فبأيِّ حجة من هذه الحجج ستتذرَّع؟ إنَّ هذه الخطية هي أكثر خطية لا يُلتَمس لها عُذر، إذ أنها تجعلك عاجزًا عن مجرَّد أن ترفع يديك نحو السماء. إنَّ

الله يشتاق أن يغفر لك خطاياك، ولكنك لا تُعطيه الفرصة، لأنك **تُصمِّم على أن تُمسِك خطية العبد رفيقك في قلبك.**

مهما كان عدوك شريرًا، فاعملْ بقول الكتاب: «لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشرَّ بالخير» (رو ١٢: ٢١). اسمعْ لقول مُعلِّمك **القديس بولس**، الذي وهو الآن جالسٌ خارج تُخوم هذه الحياة الدُّنيا، يصرخ إلينا بصوتٍ عالٍ، نحن الذين لا زلنا داخل حَلَبة المصارعة، عندما يرانا مهزومين من الغضب والغيظ من إساءات الآخرين قائلًا: «إنْ جاع عدوُّك فأَطْعِمْهُ. وإنْ عَطِشَ فاسْقِهِ. لأنك إنْ فعلتَ هذا تجمع جمر نارٍ على رأسه» (رو١٢: ٢٠). ليس المقصود هنا أن تؤذيه بجمر النار هذا؛ بل المقصود هو أن تجعل توبيخ ضميره كأنه نار على رأسه، وهذا نافعٌ لخلاصه إنْ هو استجاب لصوت ضميره.

إذا أخطأ إليك عبد لسيِّدٍ آخر وضربته، فسيعتبرك هذا السيِّد أنك قد أخطأتَ إليه، لذلك فمهما عمل عدوك لا تنتقم منه، لئلا تُحسَب مُحتَقِرًا لسيِّده الذي هو سيدك وربك؛ بل سلِّم الأمر له وهو سيحسم الأمر بطريقةٍ أفضل بكثير مِمَّا كنتَ تريد. لقد أعطاك وصيةً أن تُصلِّي ببساطة قلب لأجل مَن يؤذيك؛ أمَّا كيفية التعامُل معه، فالرب يُطالبك أن تترك ذلك له هو.

تأكَّد أنه لو غفرنا للمُسيئين إلينا، وتصالحنا معهم، وصلَّينا لأجلهم؛ فإنَّ الرب لن يغفر لهم إلَّا لو تغيَّروا وتابوا. وسيمنع عنهم الغفران حتى يؤدِّي ذلك إلى منفعتهم لو أرادوا. إنَّ الرب سيُمجِّدك لأجل حكمتك الروحية، ولكنه سيفتقد مَن صالحته حتى لا تصير حاله إلى أسوأ بسبب حكمتك أنت.

يقول البعض: «**لا أُريد أن أُصالحه أنا، لأن هذا سيكون مظهر ضعف مني، ولأن ذلك سيجعله يزداد سوءًا وميلًا إلى معاملتي بعد ذلك بازدراءٍ أكثر**». إنَّ هذه الحجة ليست سوى غطاء لظُلمة القلب، لأن عين الله التي لا تغفل سترى قصدك الصالح، ولذلك فعليك ألَّا تعمل حسابًا لأفكار العبيد رفقائك طالما أنك ربحتَ رأي القاضي العادل الذي يختبر نيَّاتنا. كما ينبغي أن تَعْلَم أنه – على عكس تفكيرك – فإنَّ عدوَّكَ سَيَسُوءُ حاله طالما أنك لم تصطلح معه؛ وأنك إذا اصطلحتَ معه، فسيتحقَّق في أعماق ضميره من روحك المسيحية، ويحترم لُطفك واتضاعك حتى ولو لم يَقُل ذلك علنًا! أمَّا إذا ظلَّ على شرِّه في الوقت الذي تحاول أنت فيه أن تُليِّن قلبه وتسترضيه، فسيواجه أشد العقوبات من الله...

هَلُمُّوا نتصالح لنستحق الأسرار المقدَّسة:

ها أنا أقولها بوضوح لكي يسمعها كل واحد: «لا يقتربنَّ أحدٌ له عدو من المائدة المقدَّسة» «غير مُميِّز جسد الرب» (١كو١١: ٢٩)؛ ومَن أراد أن يقترب فليتصالح مع عدوِّه. هذه هي وصية وتحذير الرب نفسه الذي صُلِبَ لأجلك حتى يُصالحك مع الآب، ومن أجل ذلك لم يرفض أن يصير ذبيحةً ويُسفَك دمه! فهذه هي وصيته: «إنْ قدَّمتَ قُربانك إلى المذبح، وهناك تذكَّرتَ أن لأخيك شيئًا عليك، فاترُكْ هناك قُربانك قُدَّام المذبح، واذهب أولًا اصطلحْ مع أخيك، وحينئذٍ تعالَ وقدِّم قُربانك» (مت ٥: ٢٣، ٢٤)؛ إنه لم يَقُلْ: «انتظرْ حتى يأتي هو إليك، أو اجعلْ وسيطًا آخر بينكما»؛ بل أوصاك أن تفعل هذا بنفسك. وإنْ كان الرب نفسه لا يعتبر تركك للذبيحة على المذبح أمرًا مُشينًا له، أَتَعتَبِر أنت ذهابك لتصطلح مع أخيك أمرًا مُشينًا لك؟!

أتحب أن ترى أحد أعضاء جسدك – الذي هو أخوك المتخاصِم معك – يُقطَع من جسدك الذي هو جسد المسيح؟ واحدٌ فقط هو العدو الذي ينبغي ألَّا تصطلح معه، وهو **الشيطان**. ولكن إنْ وُجِدَ سوء تفاهُم أو ضِيْقُ صَدْرٍ بينك وبين إنسان، فأَسرِعْ بإزالته ولا تجعله يتعدَّى اليوم الذي حدث فيه، لأن الكتاب يقول: «لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تعطوا إبليس مكانًا» (أف٤: ٢٦، ٢٧) . إنَّ تأجيل الصُّلْح يومًا سيُعطي فرصة للعدو أن يُحرِّضك على التأجيل ليومٍ ثانٍ وهكذا. وكلما طالت فترة النفور صار الصُّلْح أصعب، لأن الجرح كلما تُرك بلا علاج ازدادت خطورته وصعب علاجه؛ لأنه كما أنَّ «المحبة تستر كثرةً من الخطايا» (١بط ٤: ٨)؛ هكذا أيضًا العداوة تؤدِّي إلى خطايا لم تكن موجودة، وأهمها وأكثرها حدوثًا **خطية الدينونة!**...

فَلْنُكْرِمْ عِيدَ مُصالحتنا مع الله بمُصالحة بعضنا بعضًا:

دعونا نُكرِم العيد الذي ينتهي به هذا الصوم المقدَّس. دعونا نتمتَّع بهدايا العيد الروحانية التي نتوقَّعها من ملكنا الحقيقي، ونُعطي الفرصة لإخوتنا المتخاصمين معنا أيضًا أن يتمتَّعوا بهذه الهدايا عندما نصفح كل واحد لأخيه عن زلَّاته. إنه حيث توجد العداوة والخصام، فأصوامنا وأعيادنا غير مقبولة، وكأنها لم توجَد ولا مارسناها. إنَّ الكاهن لا يجرؤ أن يلمس الذبيحة المقدَّسة بيدٍ غير مغسولة(٣)، فاحذَرْ أنت من أن تقترب منها وقلبك غير مغسول، لأن هذا أبشع من ذاك...

والآن قد مضت أربعون يومًا، وانتهى **الصوم الكبير**؛ أمَّا إذا مرَّ **أسبوع الفصح وعيد القيامة المُقَدَّسان**، ولم تَسترضِ وجه الرب بطاعتك لهذا الكلام، فهو لن يغفر لك، وأنا أيضًا سأحرمك من الأسرار المقدَّسة حتى تُصْلِح نفسك وتُنقِّي ضميرك. لعل الرب يهبكم هذه النعمة بصلوات قدِّيسيه، فنتمتَّع جميعًا سويًّا بملكوت ربنا يسوع المسيح، الذي له مع الآب والروح القدس، المجد والكرامة والمهابة، الآن وفي الدهر اللانهائي، آمين.

---

(١) العظة رقم ٢٠ من عظات القديس يوحنا ذهبي الفم الموجَّهة إلى شعب أنطاكية قبل أن يصير بطريركًا للقسطنطينية. وكان الصوم الكبير حينذاك قد أشرف على نهايته.

(٢) هذا الكلام يُلمِّح إلى نظام خوارس التائبين في ذلك الزمان، حيث كانت الكنيسة تفصل التائبين الجُدُد عن باقي المؤمنين عن طريق خوارس التائبين، حتى تتأكَّد من صحة توبتهم، ثم تسمح لهم بالتقرُّب من الأسرار المقدَّسة.

(٣) لاحِظ هذه الطقوس الكنسية التي تدلُّ على سلامة طقوسنا الباقية كما هي كما كانت في القرون الأولى.

الرسالة الفصحيّة السابعة

القديس أثناسيوس الكبير

٣٠ مارس ٣٣٥م.

لنحمل سمات المصلوب!:

كتب **بولس الطوباوي** إلى أهل كورنثوس أنه يحمل في جسده على الدوام إماتة يسوع (٢كو٤: ١٠)، ليس كمن يحمل هذا الفخر وحده بل ويلزمهم هم، كما نحن أيضًا أن نحمل هذا.

ليتنا يا أخوتي نقتفي آثاره! وليكن هذا هو فخرنا الدائم فوق كل شيء في كل وقت.

هذا يصير فينا خاصة في أيام العيد إذ نذكر **موت مخلصنا**، لأن من يصير مشابهًا له في موته، يصير أيضًا مجاهدًا في الأعمال الفاضلة، مميتًا أعضاءه التي على الأرض (مز٢٣: ٢٢)، صالبًا الجسد مع الأهواء والشهوات (كو٣: ٥)، ويحيا في الروح سالكًا حسب الروح (غلا٥: ٢٤، ٢٥).

مثل هذا الإنسان يلهج بالله دائمًا، ولا يفعل أعمال الموت.

والآن، فإنه لكي نحمل في جسدنا إماتة يسوع، أضاف الرسول للحال موضحًا لنا الطريق الذي نتبعه قائلًا: «فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوب:«آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا.» (٢كو٤: ١٣). وقد أردف أيضًا متحدثًا عن النعمة التي تنبع عن المعرفة قائلًا: «عَالِمِينَ أَنَّ الَّذِي أَقَامَ الرَّبَّ يَسُوعَ سَيُقِيمُنَا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ، وَيُحْضِرُنَا مَعَكُمْ.» (١كو٤: ١٤).

بالإيمان والمعرفة نحيا بالروح:

عندما احتضن القديسون مثل هذه الحياة الحقيقية بواسطة الإيمان والمعرفة ينالون بلا شك الفرح السماوي. ذلك الفرح الذي لا يهتم به الأشرار إذ هم محرومون من التطويب النابع عنه... لأنهم لا يرون جلال الرب (أش٢٦: ١٠).

فإنهم وإن كانوا يسمعون الإعلان العام ««اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ» (أف٥: ١٤)، ويقومون ويأتون إلى السماء قارعين الباب قائلين «افتح لنا» (مت٢٥: ١١)، إلَّا أن الرب سينتهرهم كمن لا يعرفهم... قائلًا لهم: «لا أعرفكم»، ويصرخ الروح ضدهم «الأشرار يرجعون إلى الهاوية كل الأمم الناسين الله».

هل يُعَيِّد الشرير؟:

أننا نقول بأن الأشرار أموات، لكن لا في حياة تعبدية ضد الخطية، ولا هم مثل القديسين يحملون الموت في أجسادهم، إنما يدفنون النفس في الخطايا والجهالات فتقترب النفس من الموت. وإذ يشبعونها بالملذات المميتة، تكون نفوسهم أشبه بنسور صغيرة تحوم فوق جثث الموتى. وقد أعلنت الشريعة عن هذا إذ تأمر في صورة رمزية بعدم أكل النسور وجميع الطيور التي تأكل الجيف (لاويين ١١: ١٣).

هؤلاء يقتلون النفس بالشهوات، ولا يقولون سوى ««لِنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ، لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ»» (إش ٢٢: ١٣).

وقد وصف اشعياء النبي الثمرة التي يجتنيها أمثال هؤلاء الذين ينغمسون في الملذات، فقال «فَأَعْلَنَ فِي أُذُنَيَّ رَبُّ الْجُنُودِ: لاَ يُغْفَرُ لَكُمْ هذَا الإِثْمُ حَتَّى تَمُوتُوا، يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ» (إش ٢٢: ١٤).

نعم، حتى عندما يعيشون، فإنهم يكونون في عارٍ، إذ يحسبون آلهتهم بطونهم، وعندما يموتون يتعذبون لأنهم افتخروا بمثل هذا الموت.

ويحمل بولس أيضًا شهادة عن هذه النتيجة فيقول «الأَطْعِمَةُ لِلْجَوْفِ وَالْجَوْفُ لِلأَطْعِمَةِ، وَاللهُ سَيُبِيدُ هذَا وَتِلْكَ.»(١كو٦: ١٣).

وتعلن الكلمة الإلهية عن هؤلاء بأن موت الأشرار شرٌّ ومبغضي الصدِّيق يخطئون (مز٣٤: ٢١)، لأن الأشرار يرثون نارًا مُرَّة وظلامًا مُهلكًا.

كيف يعبد الأبرار؟:

أما القديسون والذين يمارسون الفضيلة ممارسة حقيقية، «فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ» (كو٣: ٥). فيتحقق فيهم، بسبب هذه النقاوة وعدم الدنس، وعد مخلصنا «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ.» (مت ٥: ٨).

هؤلاء صاروا أمواتًا للعالم، وازدروا بمقتنياته مقتنين مَوتًا مُشَرِّفًا، إذ هو «عَزِيزٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ مَوْتُ أَتْقِيَائِهِ.» (مز١١٥: ١٥)

هؤلاء أيضًا قادرون على الاقتداء بالرسول القائل: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ.» (غلا ٢: ٢٠).

هذه هي الحياة الحقيقية التي يحياها الإنسان في المسيح، فأنه وإن كان مَيِّتًا عن العالم إلَّا أنه كما لو كان قاطنًا في السماء، منشغلًا في الأمور العلوية، كمن هو هائم في حب تلك السكنى السماوية، قائلًا إننا وإن كنا نسلك في الأرض «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ» (في٣: ٢٠).

الذين يحبون هكذا مشتركون في فضيلة كهذه، هم وحدهم القادرون على تمجيد الله... **وهذا هو ما يعنيه العيد**.

فالعيد لا يعني التمتع بأكل اللحوم والملابس الفاخرة، ولا هو أيام للترف، إنما تكمن بهجته في **معرفة الله وتقديم الشكر والحمد له**.

هذا الشكر وهذا الحمد، يقدمه القديسون وحدهم الذين يعيشون في المسيح، إذ مكتوب: «لَيْسَ الأَمْوَاتُ يُسَبِّحُونَ الرَّبَّ، وَلاَ مَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى أَرْضِ السُّكُوتِ. أَمَّا نَحْنُ فَنُبَارِكُ الرَّبَّ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ.» (مز١١٤: ١٧-١٨).

هكذا كان الأمر مع حزقيا الذي خَلُصَ من الموت فسبح الله قائلًا «لأَنَّ الْهَاوِيَةَ لاَ تَحْمَدُكَ. الْمَوْتُ لاَ يُسَبِّحُكَ. لاَ يَرْجُو الْهَابِطُونَ إِلَى الْجُبِّ أَمَانَتَكَ. الْحَيُّ الْحَيُّ هُوَ يَحْمَدُكَ كَمَا أَنَا الْيَوْمَ. الأَبُ يُعَرِّفُ الْبَنِينَ حَقَّكَ. » (أش٣٨: ١٨-١٩).

فتسبيح الله وتمجيده هو من اختصاص الذين يحيون في المسيح وحدهم، هؤلاء يصعدون إلى العيد، لأن الفصح ليس للأمم ولا للذين هم يهود بحسب الجسد، بل للذين يعرفون الحق، وذلك كقول ذاك الذي أُرسل للإعلان عن مثل هذا العيد: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١ كو ٥: ٧).

لذلك وإن كان الأشرار يُقْحِمُونَ أنفسهم لكي يحفظوا العيد، بينما عَمَلُنا في العيد وهو تمجيد الله، لهذا فأنهم كأشرار يقتحمون متطفلين في دخولهم كنيسة القديسين. هؤلاء يوبخهم الله معاتبًا كل واحد منهم: «مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي» (مز٤٩: ١٦).

والروح القدس يوبخهم قائلًا: «بأنه ليس للتسبيح مكانًا في فم الخاطئ» (ابن سيراخ١٥: ٩)، ولا للخطية وجود في مذبح الله، لأن فم الخاطئ يتكلم في الأمور الجامحة، كقول المثل: «فم الأشرار ينبع شرورًا» (أم١٥: ٢٨).

كيف يمكننا أن نسبح الله بفم دَنِسٍ، إذ لا يمكن أن يتفق النقيضان معًا؟! «لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (٢كو٦: ١٤). هذا ما يعلنه بولس خادم الإنجيل.

لهذا لا يمكن للخطأة والغرباء عن الكنيسة الجامعة أي **الهراطقة والمنشقين المستبعدين** عن أن يمجدوا الله مع القديسين، أن يستمروا في حفظ العيد كما ينبغي.

أما البَارُّ، فإنه وإن كان يظهر ميتًا عن العالم، لكنه يتجاسر فيقول «لاَ أَمُوتُ بَلْ أَحْيَا وَأُحَدِّثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ.» (راجع مز١١٧: ١٧). فإنه حتى الله لا يخجل من أن يدعى لهم إلهًا، هؤلاء الذين بحق يميتون أعضاءهم التي على الأرض (كو٣: ٥)، ويحيون في المسيح الذي هو إله أحياء لا إله أموات. هذا الذي بكلمته ينعش كل البشر، ويعطيهم طعامًا يحيا به القديسون، كما أعلن الرب قائلًا: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ.» (يو٦: ٤٨).

ولما كان اليهود عديمي الإدراك ولم تكن حواسهم مدربة على الفضيلة، لهذا لم يفهموا أقواله عن «الخبز» فتذمروا ضده لأنه قال عن نفسه أنه الخبز الحي الذي نزل من السماء ويهب حياة للبشر (يو٦: ٥١).

بين الخبز الحي وخبز الخطية:

الخطية لها خبزها الخاص بها، الذي يدعو المحبين لملذاتها ليموتوا بموتها، وَتَدْعُو ناقصي الفهم قائلة: ««الْمِيَاهُ الْمَسْرُوقَةُ حُلْوَةٌ، وَخُبْزُ الْخُفْيَةِ لَذِيذٌ»» (أم ٩: ١٧). لأنه حتى من يلمس هذا الخبز لا يعرف أنَّ ما هو مولود من الأرض يَبِيدُ معها.

فعندما يفكر الخاطئ في أن يجد لذة، فإنه في نهاية هذا العام لا يجد فيه بهجة، كما تقول حكمة الله «أن خبز الخداع مُسِرٌ للرَّجُل»، لكن فمه بعد ذلك يمتلئ حصاة. وأن العسل يسقط من شفتي المرأة الزانية التي تكون إلى حين حلوة، ولكن النهاية تجدها أكثر مرارة من المر ذاته، وأكثر حدة من السيف ذي الحدين.

هكذا إذ يأكل الخاطئ ويفرح إلى حين، فأنه عندما ترحل نفسه (من هذا العالم) سوف تستخف بهذا الطعام!

فالغبي لا يدرك أن من يبتعد عن الله يهلك. مع أنه يوجد صوت نبوي يقول رادعًا: «وَالآنَ مَا لَكَ وَطَرِيقَ مِصْرَ (**تشير إلى العبادة الوثنية بما فيها من ملذات وشهوات**) لِشُرْبِ مِيَاهِ شِيحُورَ؟ وَمَا لَكَ وَطَرِيقَ أَشُّورَ لِشُرْبِ مِيَاهِ النَّهْرِ؟ » (أر٢: ١٨).

وحكمة الله التي تبني البشرية تمنعهم من هذه الأشياء (**خبز الخطية**)، صارخة أن ينفصلوا عنها ولا يتأخروا في المكان ولا يتطلعوا إليها، لأنها مياه غريبة سوف تعبر وترحل سريعًا...

كذلك تدعونا الحكمة إلى نفسها قائلة: «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ. ذَبَحَتْ ذَبْحَهَا. مَزَجَتْ خَمْرَهَا. أَيْضًا رَتَّبَتْ مَائِدَتَهَا. أَرْسَلَتْ جَوَارِيَهَا تُنَادِي عَلَى ظُهُورِ أَعَالِي الْمَدِينَةِ: «مَنْ هُوَ جَاهِلٌ فَلْيَمِلْ إِلَى هُنَا». وَنَاقِصُ الْفَهْمِ قَالَتْ لَهُ: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ

طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا. » (أم٩:١-٥).

وبأي رجاء يأكل خبز الحكمة؟

«اُتْرُكُوا الْجَهَالاَتِ فَتَحْيَوْا، وَسِيرُوا فِي طَرِيقِ الْفَهْمِ» (أم٩:٦) لأن خبز الحكمة مُحْيٍ، إذ يقول الرب « أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. إن كل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو٦:٥١).

ويعلمنا الربّ قائلًا: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ.» (يو٦:٤٨-٥٠).

الأبرار يشبعون والخَطَأَةُ يفتقرون:

أن ألأشرار يفتقرون إلى خبز كهذا... أما الأبرار فهم وحدهم الذين تهيأوا لكي يشبعوا، قائلًا لكل واحد منهم: «أَمَّا أَنَا فَبِالْبِرِّ أَنْظُرُ وَجْهَكَ. أَشْبَعُ إِذَا اسْتَيْقَظْتُ بِشَبَهِكَ.» (مز١٦:١٥).

لأن من يشترك في الخبز الإلهي دائمًا يجوع مُشتاقًا، وإذ هو جائع لا يُحرم من أن يُعطى له كما وعد «الحكمة» ذاته قائلًا: «اَلرَّبُّ لاَ يُجِيعُ نَفْسَ الصِّدِّيقِ.» (أم١٠:٣). وكما وعد أيضًا في المزامير «طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزًا.» (مز١٣١:١٥).

إننا نسمع مخلصنا يقول «طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ.» (مت٥:٦).

حسنًا إذن ما يفعله القديسون، إذ يحيون في المسيح، ويبثون في أنفسهم شوقًا نحو هذا الطعام.

وقد تفجر شوق أحدهم إذ يقول: «كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اللهُ.» (مز٤١:١).

«عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى اللهِ، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ اللهِ ؟!» (مز٤١:٢).

«يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ، لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ.» (مز٦٢:١-٢).

الإيمان والخبز الحيّ؟:

ما دام الأمر هكذا يا أخوتي، فليتنا نميت أعضاءنا التي على الأرض (كو٣:٥)، ونتقوّت بالخبز الحيّ: الإيمان بالله وحب الله، عالمين أنه بدون إيمان لا يمكن أن تكون لنا شركة في خبزٍ كهذا. لأنه عندما دعا ربنا الكل إليه قال: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ.» (يو ٧:٣٧) وللحال تحدَّث عن الإيمان الذي بدونه لا يقدر إنسان أن يأخذ من مثل هذا الطعام: «مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ».» (يو٧:٣٨).

بهذا الهدف كان ينُعش تلاميذه المؤمنين بكلماته ويعطيهم الحياة باقترابهم من لاهوته. أما المرأة الكنعانية فإذ لم تكن بعد مؤمنة لم يتكرم عليها حتى بمجرد الإجابة عليها رغم احتياجها الشديد إلى طعامٍ منه.

وهو لم يصنع هذا احتقارًا بها. حاشا له، لأنه محبٌ لكل البشر... ولهذا نجده يذهب إلى سواحل صور وصيدا (**أي يذهب عند غير المؤمنين**)، ولكن صنع هذا معها لأنها لم تكن آمنت بعد ولا أخذت حكمة.

وبحق صنع هذا يا أخوتي، ما كان لها أن تنتفع شيئًا لو استجاب لطلبتها قبل أن تعلن إيمانها، ولكن بإيمانها يمكنها أن تنال طلبتها، إذ يجب على الذي يأتي إلى الله أن يُؤْمِنْ بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه وأنه «وَلكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ.» (عب١١:٦). هذا ما يُعَلِّمُ به **بولس**.

فهي إذ كانت إلى تلك اللحظة غير مؤمنة، الأمر الذي يجعلها دنسة، وهذا يظهر من قوله: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ».» (مت١٥:٢٦).

وعندما وثقت في قوة «الكلمة» وغيرت من طريقها اقتنت أيضًا الإيمان، وبالتالي لم يَعُد بعد يُجَدِّفها كأنها «كلب» إنما غَيَّر طريقة حديثه عنها على أنها مخلوق بشري قائلًا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ!» (مت ١٥:٢٨).

وإذ آمنت وهبها ثمرة إيمانها قائلًا لها: «لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.» (مت١٥:٢٨).

لا تدنِّس دم ابن الله

من يُؤَهَّل للدعوة السماوية، بهذه الدعوة يتقدَّس، لكنه إن سلك في هذه الدعوة بإهمال، فإنه وإن كان قد تنقى لكن (بإهماله هذا) يصير دنسًا.

يقول الرسول: «فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟»(عب١٠:٢٩).

أنه سيسمع تلك الكلمات: « يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟.» (مت٢٢:١٢) لأن وليمة القديسين طاهرة بلا دنس «لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (مت ٢٢:١٤).

ويشهد بهذا يهوذا، الذي وإن جاء إلى العشاء، لكنه احتقر الوليمة وخرج من حضرة الرب وفقد حياته خانقًا نفسه.

وأما التلاميذ الذين استمروا مع المخلص، فقد صارت لهم سعادة الوليمة.

وذاك الشاب الذي ذهب إلى كورة بعيدة وبدَّد أمواله في عيش مُسْرِفٍ، متى عاد مشتاقًا إلى الوليمة السمائية ورجع إلى نفسه قائلًا: «كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا؟!» (لو ١٥:١٧). وللحال قام وذهب إلى أبيه واعترف قائلًا له: «يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.»، فأنه بعدما اعترف هكذا صار مُستحقًا لأكثر مما طلب. لأن الآب لم يقبله كعبد أجير ولا تطلع إليه كانسان غريب، بل قبله كابن، وردَّه من الموت إلى الحياة، واعتبره مستحقًا للوليمة الإلهية، وأعطاه ثوبه الأول الثمين، حتى أنه بسبب هذا صار غناء وفرح في بيت الأبوَّة.

الله ينتظرك!:

هذا هو عمل الحب الأبوي المترفق وصلاحه، أنه ليس فقط يقيم الإنسان من الأموات، بل ويُعيد إليه نعمته العظيمة خلال الروح. وبدل الفساد يلبسه ثوبًا غير فاسد، وبدل الجوع يذبح العجل المسمَّن، وعوض المسافة الطويلة التي قطعها في رحلته فأن الآب المُنتَظِر رجوعه يُقَدِّمُ حذاء لقدميه. وما هو أعجب من هذا يعطيه خاتم الخطبة الإلهي في إصبعه، وفي هذا كله يجعله في صورة مجد المسيح.

هذه هي العطايا المجانية التي يقدمها الآب، والتي بها يُكَرِّم الرب الساكنين معه والراجعين إليه تائبين، ومنعشًا إياهم. فأنه يعدنا (يسوع) قائلًا: «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا.» (يو٦:٣٥).

ونحن أيضًا فَسَنُحْسَب مستحقين لهذه الأمور، إن كُنَّا في هذا الزمان نلتصق بمخلصنا، وكنا أطهارًا لا في أيام الفصح (أسبوع البصخة) وحدها، بل ونأخذ في اعتبارنا كل زمان حياتنا كما لو أنها كانت عيدًا. فنستمر قريبين منه غير مبتعدين عنه إذ نقول له: « يَارَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ؟!» (يو٦:٦٨).

ليت الذين هم منا وقد ابتعدوا عنا يرجعون مرة أخرى، معترفين بخطاياهم، ولا يكون في قلبهم شيء ضد أحد، بل بالروح يميتون أعمال الجسد (رو٨:١٣). لأنه هكذا إذ ينعشون النفس هنا، يشتركون مع الملائكة في المائدة السمائية الروحية، ولا يكونون كالعذارى الخمس الجاهلات (مت٢٥:١-١٢) اللواتي كن يقرعن ولكنهن رُفِضْنَ، بل يدخلون مع الرب مثل العذارى الحكيمات المُحِبَّات للعريس.

وإذ **يظهرون إماتة يسوع في أجسادهم (كو٤:١٠) فأنهم يقبلون منه الحياة والملكوت...**

من اقوال القديس يوحنا الذهبي الفم

عن قيامة السيّد المسيح:

«لو أنه قام عقب انصراف الحراس بعد اليوم الثالث كان لهم ما يقولون وما يقاومون به ويعاندون. لذلك بادر وسبق فقام، لأنه كان يلزم أن يقوم وهم بعد يحرسون.»

وايضًا قام وكان الحجر موضوعًا والأختام عليه، ولكن لكي يتأكد الآخرون تمامًا كان من الضروري فتح القبر بعد القيامة، وهذا ما قد حدث. هذا ما دفع مريم للتحرك. فإذ كانت مملوءة حبًا نحو سيِّدها، إذ عبر السبت لم تحتمل أن تهدأ فجاءت باكرًا جدًا، مشتاقة أن تجد نوعًا من التعزية في المكان. وإذ رأت الموضع، والحجر مرفوعًا لم تدخل، ولا انحنت، بل رجعت نحو التلاميذ في شوقٍ عظيمٍ، فإنَّ هذا هو ما كانت تبغيه بغيرة. لقد أرادت بسرعة فائقة أن تعلم ماذا حدث للجسد. هذا هو معنى جريها وكلماتها. وايضًا دُحرج الحجر بعد القيامة من أجل النساء لِيُؤمِنَّ أنَّ الرب قام، ولْيَنْظُرْنَّ الحق أن القبر بدون جسد.

لأعرفه وقوّة قيامته

لنقتن الحكمة التي من الله

للقديس باسيليوس الكبير

المسيح هو قوة الله وحكمة الله

وهكذا نجد أن العقل باطلٌ تمامًا، وأيضًا الفهم العظيم النابع مِن الحكمة الذاتية، ولا السلام الذي يُعطيه الآخرون هو الذي ينفع. ولكنْ قُدرة **قيافا رئيس الكهنة العظيم** على الإقناع الذي نَبَّهَ اليهود قائلًا: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!. وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ.» (يو١١: ٥٠-٥٢). وكما تنبأ **أرميا النبي** قائلًا: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.» (أر٩: ٢٣- ٢٤). وكما سبَّحت **حنة أم صموئيل** قائلةً: «لاَ تُكَثِّرُوا الْكَلاَمَ الْعَالِيَ الْمُسْتَعْلِيَ، وَلْتَبْرُحْ وَقَاحَةٌ مِنْ أَفْوَاهِكُمْ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَلِيمٌ، وَبِهِ تُوزَنُ الأَعْمَالُ.» (١صم٢:٣). فبمثل هذه الأفكار يرتفع الإنسان ويتمجد ويتعظم، ويصل إلى المعرفة الحقيقية، وينمو إلى مجد الرب الذي يبتغيه ويبحث عنه، كما يقول الرسول: «وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (١كو١: ٢٨- ٣١).

وهذا الافتخار بالله يكون كاملًا وسليمًا، لأنه يحفظ البَارَ مِن أي تَعالٍ أو روح مقاومة في نفسه، بل بالحقيقة يجعله مُحتاجًا إلى معرفة البرِّ الحقيقيّ، بإيمانه **ببر المسيح وحده**. فافتخار بولس بالرب جعله يزدري ببرِّ نفسه، طالبًا البِرَّ الذي مِن الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لذلك قال: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهًا بِمَوْتِهِ، لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ. » (في٣: ٨-١١).

وهكذا يتدنى ويسقط كُلُّ تَكَبُّرٍ وزَهْوٍ وخُيَلاء، أيها الإنسان، ولا يجعلك تصل إلى الغرور، بل الرجاء والافتخار يكون بموت كُلِّ ما هو مِن نفسك مِن أجل الحياة الأبدية في المسيح الذي هو باكورة كُل شيء، والذي يهب الجميع نعمة الحياة كعطية مِن الله، وهكذا يكون الله هو العامل فينا جميعًا، كما يقول الرسول: «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ.» (في٢: ١٣). الله الذي سبق وقدَّسنا بحكمته وبروحه القدوس الذي استُعلن فينا لمجدنا، كما قال الرسول: «بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ». فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ.» (١كو٢: ٧-١٠). الله الذي يُنقذ مِن المخاطر، والذي رجاء الإنسان كُله فيه. كما يُكمِل الرسول قائلًا: «لكِنْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا حُكْمُ الْمَوْتِ، لِكَيْ لاَ نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ الَّذِي يُقِيمُ الأَمْوَاتَ، الَّذِي نَجَّانَا مِنْ مَوْتٍ مِثْلِ هذَا، وَهُوَ يُنَجِّي. الَّذِي لَنَا رَجَاءٌ فِيهِ أَنَّهُ سَيُنَجِّي أَيْضًا فِيمَا بَعْدُ.»(٢كو١: ٩-١٠).

وهل الكرامة والفهم العظيم والرحمة التي نُلتها تُبرِّر كبرياءك؟ آدم طُرد مِن الجنة (تك٣: ٢٤)، **وشاول الملك** تركه روح الله الذي كان فيه (١صم١٦: ١٤)، **وإسرائيل الأصل المُقدَّس قُطِع**، «لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا! فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ.» (رو١١: ٢١-٢٢). لذلك أقول إن الحُكم يكون بالنعمة، والله الديَّان العادل يفحص بتدقيق إذا ما كُنت مُستفيدًا مِن الاحسانات التي قُدمت لك بواسطته أم لا.

إذًا لماذا أُقاوم وأرتفع في نفسي مِن أجل أعمالي وإمكانيّاتي الصالحة، بدلًا مِن أن أُقِر وأشكر الله وأُعلن عنْ العطايا والنِّعَم التي

وهبها لي الله؟ «لأَنَّهُ مَنْ يُمَيِّزُكَ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟» (١كو٤:٧). وأنت لم تعرف الله بالبِرِّ الذي فيك، بل الله عَرَفَك مِن خلال صلاحه، كما قال: «وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضًا إِلَى الأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟» (غل٤:٩). وأنت لم تربح أو تكتشف المسيح بواسطة الفضائل، بل **المسيح** هو الذي عَرَّفَكَ بنفسه بمجيئِهِ إليكَ، كقول الروح: «لَيْسَ أَنِّي قَدْ نِلْتُ أَوْ صِرْتُ كَامِلاً، وَلكِنِّي أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ.» (في٣:١٢). ويقول أيضًا: «لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ، لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي.» (يو١٥: ١٦).

وإن لم يُدرِك الفرد مِن أنَّ الله هو المانح الثروة، بل يشعر أن نعمة النجاح هي مِن عمله الشخصي، فإنه يكون مُفْرِطًا في **البلادة وفقدان الشعور**، ولنْ يحصل على غِنى أكثر وفرة مثل بطرس الرسول العظيم (لو٥: ١-١١)، ولكن حينما اعتمد على سموِّ محبته القوية للربِّ بأنها سوف تجعله مُستعدًا لمواجهة الموت، لذلك تفوَّه بأكثر حماسًا وقال: «فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا».(متى٢٦:٣٣)، ولكنه استسلم للجُبن البشري، ووقع في الإنكار، ولكنه تعلم مِن سقطته وتشجع بالتقوى وصار يُشفق على الضعفاء، ولأنه كان مُتذكرًا لضعفه دائمًا، فقد ألقى بنفسه في لُجة البحر حينما أحس بمجد المسيح (يو٢١:١-٧). وهكذا بالعثرات والضعفات المُتكررة نخسر في المخاطر بسبب عدم الإيمان، ولكن قوة المسيح تحمينا، لأن المسيح سبق وقال لبطرس حينما التقى به: «سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو٢٢:٣١-٣٢). وأيضًا تأكد بطرس مِن صدق المُساندة وصفح المسيح له وتعلم مِن الضعف.

وأيضًا قال الفريسي المغرور جدًا بكبرياء نفسه وبافتخاره ببرِّه عن العشَّار أنه بعيدٌ عن الله، وبسبب هذا تَوَبَّخَ على غروره وانحدر إلى هلاك روحي، والعشار تبرَّرَ أكثر منه لأنه لم يرفع وجهه بوقاحة أمام الله بل قدَّم له التمجيد اللائق بقداسته، ووقف وحده بعيدًا وقرع صدره مُلتمسًا الرضى مِن الله (لو١٨:١١-١٤). كشَفَ الفريسي عن قسوتِهِ حينما راقب العشار بغرور وتكبُّر، ولذلك خسر وتضرَّر بسبب احتقاره للعشَّارِ البَّارِ، وكان جزاء **عجرفته هو الهلاك الروحي**، لأنه مدح نفسه بإفراط، وقلَّل مِن ذلك الخاطئ المُتَّضِع، ولم يتوقع الدينونة مِن الله **بطرده خارجًا**.

وأنت ما كُنت تُظهره سابقًا ضد الخَطَأة بشدَّة، **باطلٌ ولا شيء**، لأن الاتضاع يُنقذ ويُحرِّر مِن **خطايا كثيرة**. لذلك لا تظن في نفسك أنك بارٌ أكثر مِن غيرك، لأنه مِن المُحتمل أن البرِّ الذي مِن ذاتك يُدخلك تحت دينونة الله، كما يقول الرسول: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ يَوْمٍ بَشَرٍ. بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضًا. فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا. وَلكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ.» (١كو٤:٣-٤).

الرومية والتأليف النيوآبائي عند فلوروفسكي – المتقدم في الكهنة جورج دراغاس

الكنيسة الأرثوذكسية اليوم هي الوريث الحقيقي للروميّة، طالما هي تبقى شركة واحدة غير منقسمة عابرة للأمم وتشكّل حضورًا حيًّا في الواقع المحيط بها في العالم المعاصر.

معلمي العظيم الأب جورج فلوروفسكي، روسي الجنسية بالولادة، يشدِّد في محاضراته على أنَّنا: «كمسيحيين أرثوذكسيين نحن جميعنا **روم**. لا رومًا بالمعنى القديم الكلاسيكي، بل **رُومًا أرثوذكسيين**، أي في الهلينية التي عمّدها الرسل والآباء للمسيح، باسم الآب والابن والروح القدس، والتي صارت الأساس المسكوني للكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، التي تضمّ شعوبًا كثيرة وتمكّن العالم كلّه. «**إنه يعني الرومية بالطبع.**»

في أحد دروسه في **جامعة برنستون**، قال الأستاذ الحكيم، بجدية بالغة، ما يلي: «**إن لم يصر الروس والأميركيون رُومًا، فلن يخلصوا، لا هم ولا العالم**»، ومتوجّهًا إليّ أضاف: «**أنت تفهم ما أعني؛ إن لم يصيروا رُومًا أرثوذكسيين**».

اليوم في الشَّتَاتِ يدور نقاش كبير في الدوائر اللاهوتية حول ما عناه فلوروفسكي، عندما تحدّث عن الحاجة المعاصرة لتأليف (الجمع بين الطريحة والنقيضة) نيوآبائي (*neopatristic synthesis*)... أعتقد أن التأليف النيوآبائي للدائم الذكر الأب فلوروفسكي يشير إلى إعادة التنظيم الروحية الثقافية للرومية الأرثوذكسية الموسّعة، التي ينبغي أن تستمر عابرة للأمم وكونية وتضمّ كل الشعب الأرثوذكسي والشتات الأرثوذكسي الموزّع في كل العالم. إن الأساس لهذه الرومية الموسّعة يجب أن يستمر في كونه **الكنيسة الأرثوذكسية للرومية التاريخية، البطريركيات الكبرى والقديمة في الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية وإرثها المشترك الأرثوذكسي**. إلى هذا، هذا تحدٍ للمجمع الكبير المقدس الذي تعود التحضيرات له مجددًا إلى المشهد التاريخي.

Ρωμηοσύνη, Απόδημος Ελληνισμός,"
Πρεσβυγενη Πατριαρχεια "(**الرومية، الهلينية في المهاجر، والبطريكيات القديمة**) Αθήνα, Μάιος ٢٠٠٩

شيخ يعلّم تلميذه كيفية الصلاة

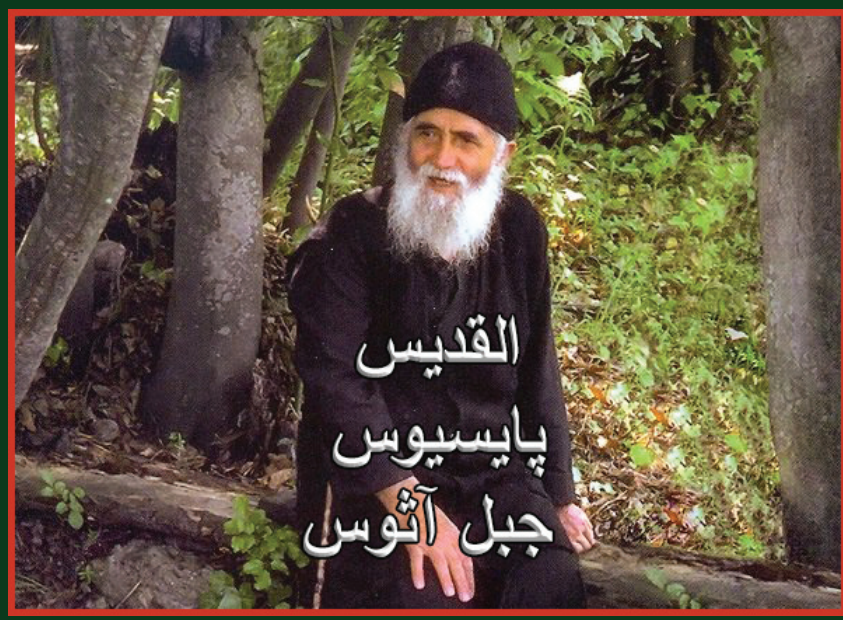

نقلها إلى العربية
جولي عطية وابراهيم قليمي

ليس مهمًّا أن نذكر العطايا الروحية الكثيرة التي يتلقّاها أحدنا عند التحدّث إلى **شيوخ روحيين**. هذا بديهي، فنحن نتكلّم عن كنوز لن تُكشف منفعتها الكبيرة إلّا مع مرور الزمن. في أزمنة كهذه، نهدم فيها القِيَم الروحية بدل أن نبنيها، يلاحظ الناس أكثر هذه المَلَكات، ولا يتوانون عن السعي وراء المرتفعات الروحية، التي هي ثمرة خبرة النسّاك المكرَّمين الواسعة. لذلك نسمع الكلمات العذبة التي تلتصق حقًا بالروح، فتهدِّئها وتحييها. لكن، كل من يتمنّى حقًا أن يجد هكذا **شيوخًا روحيين**، سيجدهم بقربه. «من يطلب... يجد». حينها سيربح الكثير بالتأكيد.

– ما يلي هي قصة تلميذ يزور شيخه الروحي ليتلقّى المنافع من الصلاة.

عندما ذهبت إلى قلاية شيخي اليوم، أردتّه أن يحدّثني عن الصلاة، التي هي في قلب الحياة الروحية المسيحية.

– باركني يا أبي.

– لتكن معك بركة ربنا يسوع المسيح. تعالَ، سنتمشّى في الغابة. اسمع العصافير... كم هو جميل غناؤها! الاحتكاك بالطبيعة يعطي معنى آخر لحياة الفرد منّا، تصبح على اتّصال مع خليقة الله، تشعر بسلام عميق في قلبك، وتعتقد أنّ الرب يمشي هناك بجانبك، كما في العهد القديم، عندما كان يمشي مع آدم في الفردوس. كلّ شيء هنا يعبق بحضور الله. يمكنك أن تنسى نفسك في هذا المحيط السلامي، وأن تبدأ البحث عن الربّ في داخلك وفي كلّ شيء حولك. لا تستطيع مقاومة الصلاة بحماسة.

انظر كم هو رائع هنا! تعالَ، لنجلس على جذع الشجرة هذا. كما ترى، صنعتُ مقعدًا صغيرًا من هذا الجذع وغالبًا ما أستعمله للصلاة إلى السيّد. هذه الشجرة ضخمة، تبدو كأنّها تلمس السموات. أسميتُ هذا المكان «جثسمانية» ليذكّرني بالبستان الذي صلّى فيه الربّ يسوع المسيح بحرارة قبل آلامه الطوعية، سائلًا أباه أن يشدِّده ليتمّم مهمته على الأرض. دومًا ما كان يسوع المسيح يصلّي لأبيه من أجل خلاص البشرية جمعاء.

إقترب حرِّر نفسك من كلّ همومك. هذا المكان مناسب جدًا للصمت والصلاة. أينما كنت في العالم، عليك أن تصلّي ليعزِّز الرب حياتك بالروح القدس. لِنُصَلِّ للرب ونشكره من أجل كلّ العطايا التي أغدقها علينا.

مرَّ بعض الوقت. كنت أشعر بسلام عميق في الجسد والروح. كلُّ شيءٍ في داخلي كان يصرخ أنّ هذا المكان مقدَّس، أنّ هذا هو مكان الله. أحسست وكأنّي في كنيسة، كلّ شيء كان ممتلئًا بالنعمة الالهية. شعرت بسلام فائق الطبيعة يتغلغل في داخلي وخارجي، وهو سلام مختلف عن سلام الغابة. صَمْتُنا كان ممتلئًا من حضور الله.

بالواقع، ما هو مقدار العطايا الروحية التي كان الياروندا يختبرها داخل صمته الخاص، وقد ترك العالم؟

في الواقع، كان يعيش في نور الله، وأنا كنت أتلقّى الاستنارات من صلاته. لا أستطيع أن أتذكّر كم مرَّ من الوقت، لم أكن أجرؤ على كسر صمته.

كان قد أغلق عينيه وكان وجهه سلاميًا تمامًا، عاكسًا هدوءًا وسلامًا بارزَين. حاولتُ أن أقلِّد وضعيّته، أغمضتُ عينيَّ وكنت أتلو الصلاة: «ربي يسوع المسيح، ارحمني أنا الخاطئ».

مرّ بعض الوقت. وَكَزَنِي الشيخ برفق ففتحت عينيَّ ورأيت وجهه مُشِعًّا. اختبرت، بكلِّ كياني، شيئًا لم أختبره قبلًا في حياتي كلِّها. بعدها، سمعت صوته الرقيق:

– أرى أنّك تحبّ المكان هنا!

– ياروندا، لاحظتُ كم كان سهلًا علينا أن نركّز في الصلاة ونستسلم لها.

– في الواقع، أنا منتبهٌ كثيرًا لأُبقي ذهني حُرًّا من أيِّ همّ. حين تستقرّ عليَّ النعمة، يبدأ ذهني بالتفكير بالربِّ في كل وقت، فلا أعود أستطيع العيش من دونه. لا أكون بحالة جيِّدة عندما لا أصلِّي إلى الله، أشعر حينها وكأنّني سمكة خارج الماء. لهذا، أُسرِع إلى الغوص في ينبوع الصلاة بأسرع ما يمكن، حتّى أكون قادرًا على تنفُّس المسيح بدلًا من الهواء.

أنا أحِنُّ إلى السيِّد كلَّ الوقت، وأتوسَّل إليه ألَّا يتركني وحيدًا أبدًا. من الجميل أن نتمكن من الصلاة بكلّ كياننا، وأن تعبق صلاتنا بالشُّكر والتضرُّع.

– يارووندا، قلْ لي أرجوك! ما هي الصلاة بالنسبة إليك؟

– «الإنسان بلا صلاة **مَيِّتٌ**. الصلاة تعطينا القوّة لنكون بقرب الله! الصلاة فعل تواضع أمام السيِّد، نحن نخشو أمامه لنتلقّى رحمته. إن لم تصبح الصلاة مركز وجودنا، سينقلنا غرور المعرفة بعيدًا وسنصبح فقراء محرومين، لأنّ النعمة الإلهية سَتَنْفُرُ منّا! أمّا بالنِّسبة لي، فالصلاة هي مركز كلّ روحانيّتي، وأكون في رهبةٍ في كلّ مرَّةٍ أحضِّر فيها نفسي للصلاة. أنا أصلِّي لأتلقّى قوّةً من قوّته. علينا أن نمتلك حميَّة كبيرة تجاه السيِّد في وقت الصَّلاة، لأنّها العمل الأهمّ في كلِّ حياتنا!

ما من وقت أهمّ عندي من ذلك الوقت الذي أقف فيه أمام الله بعينين مغلقتين لألتمس رحمتهُ من كلِّ قلبي! هذا هو الوقت الذي أتكلَّم فيه مع السيِّد، وأشعر حقيقةً بحضوره الإلهيّ بكامل كياني بشكل نوع الصلاة، هذا هو الذي يُشعل قلوبنا بالعشق الإلهيّ ويملأ روحنا بسلامه الرائع، فنُسلم أنفسنا إلى عالم لا نهاية له!

الإنسان المصلّي هو الذي يُسلم ذاته بالكليَّة الى الله، ولا يفكِّر بشيءٍ إلَّا به. الربُّ هو كلّ شيءٍ بالنّسبة له، وهو قد فصل نفسه عن المنطق والتصق **بنور المسيح**. إنّ ملكوت الله لن يُفتح أبدًا لاستقبالنا، إن لم نتعلّم أن نصلّي أكثر. المسيحيّون الفاترون هم أولئك الذين لا يكرّسون وقتًا كافيًا للصّلاة. من دون الصّلاة، نحن أُناس مثيرون للشفقة حتى وإن كنّا أعظم وعّاظ هذا العالم. ذلك لأننا في صمت الصّلاة، نقول أكثر ممّا نقوله في أفضل موعظة! إذا كانت موعظتنا مائتة، أي خالية من الصّلاة، لا تصل إلى قلوب الناس. بالمقابل إذا سبقت التعليم صلاة كافية، فإنها لن تعطي القوّة للمتكلِّم وحسب، بل ستملأُ السامعين أيضًا بالعطايا الروحية.

أرأيت؟ العديد من الناس يرغبون بالتحدث عن الله، مع أنهم لم يتوصّلوا بعد إلى التحدث معه! يتكلّمون عن الله من دون أن يختبروا حبَّ الله في قلوبهم. يعلِّمون عن الروحانية الأرثوذكسية من دون أن يكونوا حاملين للروح القدس. إنهم أموات روحيًا، مواعظهم لا حياة فيها ولا تلمس قلوب النّاس.

لا تتخلَّ عن الصّلاة أبدًا، حافظ على الصّلاة في قلبك إذا أردت أن ينتشر سلام السّيد إلى مَن حولك.»

– يارووندا، لماذا الصّلاة مهمة إلى هذا الحد في حياة المسيحي؟

– «يا بني، لا ينبغي اعتبار الصّلاة عادة، إنّما قوة تدفئ علاقتك بالله، بما أنّ الروح القدس ينحدر علينا (من خلالها؟) وَيُحيِي إيماننا به. بقدر ما نصلّي أكثر، بقدر ما نتخلّى عن أنانيتنا وكبريائنا ونَزهد بملذّات الجسد ومغريات هذا الدّهر. جاهِدْ لتصبح رجلَ صلاة، هذا مصدرك الوحيد للاستنارة، وهذا ما سيساعدك لاجتذاب معرفة الله.

تذكّر أنّ الرسول بولس كان يصلّي ليلًا نهارًا، والنبي دانيال كان يصلّي ثلاث مرّات في اليوم بالرّغم من واجباته العديدة. أما النبي داود فكان يصلّي مرّات عدّة، خاصّة خلال الليل. مثلهم يسوع، عندما كان على الأرض، كان يصلي بشكل متواصل لأبيه السماوي.لقد كرّس كلّ القدّيسين معظم حياتهم للصلاة، لإدراكهم بأنّها السلاح الأقوى في حياتهم الروحية.

خلال الصّلاة، نركّز كلّ حواسنا على الله وتتقدّس بنعمة الروح القدس. عليك أن تستعمل كلّ وسيلة لزيادة مدّة صلاتك. لا تعتبر هذا الوقت غير مهم، لأنّ ذلك يدلّ على أنك إنسان فاتر. يجب أن تتعدّى مدّة الصلاة الأربع ساعات في اليوم. هذا الوقت هو خاصّ بك، داخل غرفتك. عليك أن تَسْجُد عندما تصلّي لله. كلّما زادت الصّلاة أحسست بالشعلة الالهية تحوطك وستصبح كلّك مشتعلًا، ستعيش في نور الله. إنّ من يصلّون هذه المدة الطويلة وأكثر، يدركون القيمة الحقيقية للصّلاة، فلا يعودون ينفصلون عنها حتى من أجل العالم بأسره. الصلاة لذيذة للغاية، لدرجة أنها تسحر الذهن والروح.»

– يارووندا، كيف عليّ أن أصلي؟

– «عليك أن تنهض باكرًا وتصلّي لله. يجب أن يكون الله أوّل من تريد أن تلتقي، عبر صلاتك، حالما تستيقظ. وهذه الرغبة يجب أن ترافقك لبقية حياتك إذا أردت أن تُصبح مميزًا عند الله ومَرْضِيًّا أمام عينيه. ينبغي أن تبحث عنه نهارًا وليلًا غير متردّد في التماسه، وأن تتوق روحك للتواصل معه. ستشعر حينها بعمق عذوبة الصلاة ولن تريد بعد أن تتركها.

أتدرك يا بني أنّ المسيحيين في أيامنا هذه، **بالإضافة إلى الكهنة**،

لا ينجحون في مهامّهم اليومية لأنّهم خسروا اتّصالهم بالصلاة وباتوا ضعفاء روحيًّا؟ إنّهم ينشغلون بالجميع **ناسين الله**، ودومًا ما تنشغل عقولهم باهتمامات دهرية. وقد **خسر الكهنة أيضًا بساطة يسوع وتواضعه**. العالم لم يتدحرج بعيدًا عن الله لأنّ عدد الاناس المصلّين قد تناقص. **الشرّير يتحرّك بحريّة** في كل مكان ولديه آلاف الأتباع لأنّ الناس يتبعون **وشوشاته**.

نحن نفتقد إلى نماذج أناس مصلّين، رجال ونساء، ينشغلون بالصّلاة بثبات. الصلاة هي التي تخلق التقوى في قلوب النّاس. الانسان التّقيّ ينكبّ على الصلاة ويكرّس كل قوّته لهذه المهمة، يعلّم الناس من خلال حياته التي تلهمها الصلاة، ويسأل الله أن يكون بقربه للعيش في بركاته.

لا نستطيع العيش من دون الصّلاة إن أردنا العيش كمسيحيين حقيقيين. **صلاة يسوع تخلق قديسين**. أرجوك لا تكن كسولًا. عليك أن تصلّي بغزارة لله لأنّ الصّلاة تعلّم المحبة، الصبر، الايمان، الصلاح، الصمت، اللطف وفضائل أخرى كثيرة. أترَى كم هي عظيمة نتائج الصّلاة على البشرية؟ خفّف انشغالاتك الأخرى ومارس الصّلاة. لا تجد أعذارًا لتقليص وقت الصّلاة لأنّ هذا من **الشرير**. هو **يجد ألف طريقةٍ وطريقة ليمنعك عن الصّلاة**. عليك أن تبرهن مدى شجاعتك في تنفيذ هذه المهمة. ستكسب فوائد روحية كثيرة. صِرْ رجل الله عبر صلاتك. قريبًا جدًّا ستتحوّل، وستستطيع في الوقت عينه أن تساعد أشخاصًا كثيرين يشاركونك خبرتك بطريقتك في الحياة.»

– لكن ياروندا، أيستطيع العائشون في العالم أن يصلّوا بهذا المقدار؟

– «نعم يا بني المبارك، يمكننا ذلك. عندما ننجح في محبّة الله من كل قلوبنا، يصبح كل شيء سهلًا في حياتنا. علينا أن نحيا للصّلاة والعمل من أجل الله. لا نهتمّ لأمور هذا الدهر بل لنشعرنّ بقوّة محبة الله من خلال صلاتنا. علينا أن نكون مُنْشَدِّينَ إلى الصّلاة إن أردنا أن نتألّق في حياتنا اليومية، فقدرتها الروحية تُزيل أيّة عقبة تعترض سبيلنا، لأنّها تعمل لأجل خلاصنا وخلاص الذين نصلّي من أجلهم. تعمل الصّلاة بالطريقة الفُضلى إن مارسناها في داخل قلوبنا. أَحبب الربّ يسوع من كلّ قلبك، وحين تصلّي له أَعْطِهِ حبًّا أكثر. لا تنسَ أنّ الله محبة ويتواصل عبر المحبة. بقدر ما تحبّه أكثر، بقدر ما ينفتح قلبك له فيباركك. حاول أن تعبّر عن حبّك بقلبك لا بعقلك. يقول الربُّ: «أعطني قلبك». القلب يبكي لا العقل. لا تستعمل العقل في الصّلاة بل القلب، دموع قلبك ستكشف حبّك ليسوع. هو بذاته بكى خلال صلاته، وأصبحت دموعه كقطرات دم. لا يستطيع الانسان أن يقلّد بسهولة نوع الصلاة هذا. قبل أن تبدأ بالصلاة، عليك أن تحاول جذب عقلك إلى داخل قلبك. وجهّز نفسك لذلك بتركيز تام، موجّهًا ذهنك نحو يسوع المصلوب. اطلب رحمته مثل اللّص، واضِع نفسك بصلاتك، ابكِ، وأشعل قلبك بمحبّة الله. اسحَق قلبك، واشعر كم أنت بائس وذليل. اقتنِ حماسة روحية تجعلك تتحسس الإثم الذي في أعماقك فلا تتوقف عن الصلاة إلّا بعد حصولك على الدمع في عينيك. لا تتوقف عن الصلاة إلّا بعد اكتسابك الورع. حينها، سيطفح قلبك بحضور الروح القدس. اعلَم انّ الله ممجّد ومعبود من ملائكته بالصلاة النقية. ليست الصلاة النقية جسديَّة بل روحيَّة. كم من الناس يصلّون بصورة روتينية من غير محبّة! مثل هذه الصّلاة ليست مقبولة لدى الله».

– ياروندا، ماذا علينا أن نفعل لاقتناء صلاة نقيَّة ومتّقدة؟

– «يا بنيّ، إنّ الصلاة النقية تقتضي إنكارًا للذات. الإنسان الذي يرغب أن يصلّي حقًّا عليه أن يتخلّى عن أمور كثيرة محيطة به، وأن ينشغل بالله وحده. عليه أن يهجر الاهتمامات الدنيوية وأيّ شيء آخر من شأنه أن يلوّث ذهنه وروحه. الصّلاة المتّقدة تحبّ الربَّ فقط وتنفر من أي شيء آخر. هي تصبح نَفَس الانسان، فيَعي أنّ قلّة الصّلاة مدمّرة لأنه يرى روحه تذبل من دونها. إنّ الروح تضعف من دون قوّة الله وتمسي كسولة إزاء الأمور الروحية. لهذا أقول لك صلِّ أكثر وأكثر لتشعر بهذه القوّة تنبعث في داخلك. عليك أن تخصّص وقتًا أكثر للصّلاة وأن تنهض باكرًا لهذا الغرض. لا تستعجل خلال الصلاة، بل ليكن هذا الوقت مكرّسًا للربّ. كُن هادئًا عندما تصلّي، وخصّص وقتًا كافيًا من نهارك لممارسة صلاة يقظة.

اعلَم أنّ من يصلّي في شبابه وقد طهّر ذهنه، يتلقّى العديد من النعم من لدن الله، وينفتح له العالم الروحي إلى أبعاد هائلة لا يستطيع المنطق البشري أن يدركها. يعيش باستمرار في الله ويُعْطَى سلطانًا روحيًّا لانقاذ الأرواح، حتى أولئك الذين في الجحيم. صلاته فاعلة جدًّا وتمتلك قوّة إلهية قادرة على تدمير **المخططات الشيطانية**. يَصِلُ إلى معرفة الحالة الروحية للآخرين ويتبلّغ بما يزعجهم. لكنّ الأهم هو أنّ الله يتكلّم إليه باستمرار، يقول له كلّ ما يتّصل بحالته الروحية، ويكشف له موضعه في الفردوس. يُعطى حماية إلهية تعلّمه كيف يحفظ نفسه للتقدّم روحيًّا، ويخبَّر عن حالته الروحية ومدى سرور الله منه. يعيش في عالم روحي لا يمتّ بأيّة صلة إلى العالم الذي نعرفه. حالته الروحية تمتدّ نحو أراضٍ مباركة من الله. يريه الله الفردوس والجحيم، وكيف يُسرُّ الشخص في الفردوس بينما يعاني في الجحيم. صلاته نقيّة، لذلك يتمنّى عليه الله أن يصلّي أكثر لأنّ هذه الصّلاة تخلّص الكثيرين.أحيانًا يصبح مستشارًا لدى الله في القرارات المتعلّقة بالانسان. إنّه مَرْضِيٌّ لله لأنّ الله يحبه كثيرًا وهو يحبّ الله كثيرًا. هو شخص موهوب، صلاته تجتذب الملائكة ورؤساء الملائكة الذين يخدمونه، ويتذوّق شذا الفردوس والسموات.

ولدي المبارك، لا تهجر الصّلاة بل ابحث عنها بكل قوّتك، جسدك وروحك. تعلّم كيف تصلّي بقلبك كي تكون متّقدًا بالروح القدس. تعالَ، لِنُصَلِّ للربِّ بقلوبنا، ولنطرح روحنا بين يديه السماويتين، لكي يحمينا من كلّ شرّ ويريحنا بحضوره السماوي. أيها الرب يسوع المسيح ارحمنا.“

الصلاة بانتباه

العظة الثالثة والثلاثون

للقديس مكاريوس الكبير

« ينبغي أن نصلي لله بلا انقطاع وبانتباه ».

كيف نصلي :

١) ينبغي أن نصلي، ليس بحسب أي عادة جسدية، ولا بعادة رفع الصوت والصراخ، ولا بعادة الصمت، أو إحناء الركب. بل ينبغي أن يكون لنا عقل منتبه وهدوء ورزانة ننتظر الله ونتوقعه، إلى أن يأتي إلينا ويفتقد النفس من خلال كل مخارجها ومسالكها وحواسها. وهكذا فإننا حينئذٍ نكون صامتين حينما ينبغي الصمت، ونصلي بصوت مرتفع حينما ينبغي ذلك، ونصلي بصراخ ما دام العقل مشدودًا بقوة نحو الله. وكما أن الجسد حينما يقوم بأي عمل، فإنه يكون منشغلًا تمامًا بهذا العمل وكل أعضائِهِ يساعد بعضها بعضًا، كذلك فلتكن النفس مُقَدَّمَةً ومُعطاةً وَمَوهوبَةً للرب تمامًا بالصلاة والمحبة نحو الرب. ولا تتشتت وتُحمل بواسطة أفكارها، بل تسعى بكل طاقتها وتجمع نفسها مع كل أفكارها مصممة على انتظار المسيح ملازمة إياه.

٢) وهكذا فإنه سيشرق عليها، ويعلّمها الصلاة الحقيقية. معطيًا إياها الصلاة الروحانية النقية، والتي تليق بالله، «والسجود الذي هو بالروح والحق» (يو٤:٢٤)، ولكن كما أن الإنسان الذي يشتغل بالتجارة لا يكتفي بطريقة واحدة للحصول على المكسب، بل يمتد بكل طريقة ليضاعف أرباحه ويزيدها، ويجرّب وسيلة بعد أخرى، ثم يجري محاولات أخرى، محترسًا فقط مما لا ربح فيه. بل إنه يجري إلى ما فيه الربح الأكثر، هكذا نحن أيضًا فلنُعِدَّ أنفسنا بكل مهارة وبكل قدرة على الحركة والنشاط من جميع الجوانب لكي نفوز بالربح الحقيقي العظيم، أي **الله** نفسه، الذي يعلّمنا كيف نصلي بالحقّ. وبهذه الطريقة فإن الرب يحل على النفس ذات القصد الصالح، جاعلًا إياها عرشًا لمجده ويجلس ويستريح عليها. وهذا ما سمعناه من **النبي حزقيال** عن الخلائق الروحانية التي كانت مربوطة بمركبة الرب. وهو يُظهرها لنا كأنها كلها عيونٌ. وبطريقة مشابهة فإن النفس التي تحمل الله أو بالأحرى يحملها الله فإنها تصير كلها عيونًا.

سكنى المسيح في النفس :

٣) وكما أن البيت الذي يوجد سيده في داخله يكون مملوءًا بالتنسيق والجمال والانسجام، هكذا النفس التي يكون ربها ساكنًا معها، ومقيمًا فيها، فإنها تمتلئ بكل جمال ونعمة. إذ يكون لها الرب بكل كنوزه الروحية ساكنًا فيها، وهو الذي يقودها ويوجّه حركتها.

ولكن الويل للبيت الذي لا يكون سيِّده فيه. إذ يكون مُقْفِرًا خَرِبًا ويمتلئ من كل قذارة وفوضى، وهناك كما يقول **النبي اشعياء** تسكن «وحوش القفر والشياطين» (إش٣٤:١٣، ١٤ السبعينية). وفي البيت المهجور توجد القطط والكلاب وكل نجاسة.

الويل إذن للنفس التي لا تقوم من سقوطها الفادح، ولا تَقْبَل في داخلها رب البيت الصالح، الذي هو المسيح ليسكن فيها، بل تبقى في نجاستها ويظلّ في داخلها أولئك الذين يقنعونها ويجبرونها على معاداة عريسها، وراغبين أن يفسدوا أفكارها بعيدًا عن المسيح.

٤) ولكن حينما يرى الرب أن النفس تجمع ذاتها بأقصى طاقتها، وتطلبه دائمًا منتظرة إياه ليلًا ونهارًا، وتصرخ إليه، كما أوصى الرسول أن «نصلي بلا انقطاع» (١تس٥:٧) فإنه «ينصفها» (لو ١٨:٧) مُطَهِّرًا إياها من الشرّ الذي في داخلها. وهو «سيحضرها لنفسه» «عروسًا لا دنس فيها ولا غضن» (أف٥:٢٧).

انظر إلى ذاتك :

فإن كنت تؤمن وَتُصَدِّق بأن هذه الأشياء صحيحة كما هي في الحقيقة، فانظر إلى ذاتك جيدًا، إن كانت نفسك قد وجدت النور الذي يرشدها والطعام والشراب الحقيقي، الذي هو الرب. فإذا لم تكن قد وَجَدَتْ، فَاطلب ليلًا ونهارًا لكي تنال. وحينما ترى الشمس (الطبيعية) فاطلب الشمس الحقيقية إذ أنك أعمى. وحينما تنظر النور (الطبيعي)، فانظر إلى داخل نفسك، هل قد وجدت النور الحقيقي الصالح؟ لأن كل الأشياء المنظورة للحواس هي ظل للأمور الحقيقية الخاصة بالنفس.

فإنه يوجد في داخلنا إنسان آخر غير هذا الإنسان المنظور، وتوجد عيون داخلية قد **أعماها الشيطان** وآذان قد أصمّها. ويسوع قد جاء لكي يجعل هذا الإنسان الداخلي صحيحًا معافًى. له المجد والقدرة، مع الآب والروح القدس إلى الأبد. آمين.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل الحادي عشر ✝

وكانت هناك أيضًا بالطبع بعض الشابات اللواتي لم يختبرن بعد شيئًا من مرارة الحياة المشتركة، وما زلن يبنين الأحلام. كُنَّ يبتسمن ويلمع في عيونهن الانتظار السعيد. وكانت جميع النساء ينظرن بأعين متوسلة إلى **أيقونة سيدتنا والدة الإله**. وكُنَّ يفهمن بالتأكيد، بغريزة الشعب التي لا تُخطىء، العذابات التي عانت منها العذراء، ودموع الألم التي ذرفتها واستحقت بفضلها السماء والملائكة والجلوس بقرب العرش الإلهي المقدّس. هذه المختارة من مختاري الأرض، المباركة وحدها، هذه الزهرة التي لا تَذْبُل والتي صارت أُمًّا لجميع المسيحيين، فاتحة ذراعيها على الدوام لمؤاساة الحزانى.

وعندما خرج **نكتاريوس** من الهيكل لِيُلْقي موعظته، فكّر في نفسه مرّة جديدة: «آه للأرثوذكسية، أُرثوذكسيتنا الوديعة والصبورة! كم تتعاطف مع أولادها المجاهدين! كم تنتظر بقلق لكي يَتَغَلَّبُوا على المِحَن ويخرجوا ظافرين مادّين أيديهم لاقتبال إكليل المجد! » كان قلبه يخفق بقوّة، وخرج كلامه كوميضٍ من نار. وقد تكلّم عن الصبر مستلهمًا المقالة الثامنة والسبعين لأنطوخيوس، راهب من غلاطية. فبدأ كلامه بالقول:

«لا أريد أن أتوسّع أكثر في الحديث عن دورها السّامي والمُحسِن إلينا. فإنَّ القلب المسيحي الصادق يفتّش ويتعلّم. أُريد فقط أن أتكلّم عن فضيلة عظيمة كانت تتحلّى بها خلال حياتها على الأرض: أعني فضيلة الصبر».

« تصَوَّرْنَ يا بناتي مقدار ما احتملته والدة الإله على هذه الأرض، وادي الدموع. تصَوَّرْنَ كُل ما احتملته منذ طفولتها اليانعة. وعندما نطقت لأوّل مرّة وهي بعد شابة صغيرة بهذه الكلمات الخلاصية: «هوذا أنا أَمَةٌ للربِّ، ليكن لي بحسب قولك»، كما قالت لرئيس الملائكة العظيم الذي بشّرها بالتدبير المُعَدّ لخلاص العالم».

« وللكلام على كُل لحظة من **حياة أُمنا القديسة الكليّة النقاوة** على الأرض، يلزمنا مُجلَّدات كاملة لوصف مُعاناتها من الارتياب، والتعب، والفقر، والتمزّق، والوحدة ... لقد كانت وبقيت وستبقى دائمًا من أهم عمالقة الصبر، فأدهشت الملائكة وسَحَرت القديسين بصبرها هذا. يا بناتي لا تُكَلَّل التوبة بدون الصَّبْر. ونحن نعجز عن اقتناء أية فضيلة كانت من دونه، ولا واحدة على الإطلاق. «يجب تقبُّل جميع الصِّعاب والأحزان بصبرٍ وأعمالٍ صالحة للفوز بأرض الميعاد». «أَلَمْ يَقُل ربّنا الكلّي الوداعة، وهو فرحنا وسعادتنا، ربّنا يسوع المسيح:» «من يصبر إلى المنتهى يخلُص». وعندما رجاه أعظم رُسُلِهِ، القديس بولُس، أن يَشْفِيَهُ من الشوكة التي كانت تعذّبه، أجابه

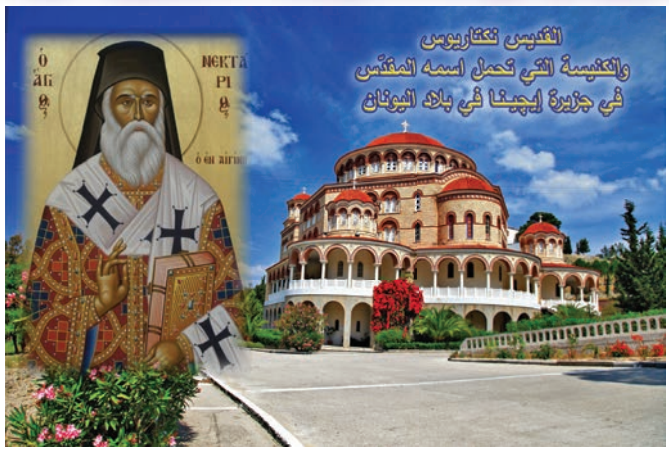

بالقول: «تكفيكَ نعمتي لأنّ قوّتي بالضعف تَكمُل».

وفي نهاية الموعظة سُمِعَ تنفُّس الصُّعداء في جميع أرجاء الكنيسة. وبعد انتهاء الخدمة الليتورجية تحلّق الناس حوله من كُل الجهات، ورجوه ألّا يرحل عنهم. فمكث ثلاثة أيام في **غالاكسيدي** من أجل تعزية بعض الأشخاص الخائري النفس. وعند عودته إلى البيت أُصيب بالبرد، فاضطر لملازمة الفراش لمدة عشرين يومًا.

لحُسْنِ الحظ أنه كان في رعاية أيدٍ أمينة: فقد قَدَّمَ له مُضيفاهُ واولادهما كُل ما كان يحتاجه للشفاء، وأحاطوه بكل الاهتمام اللازم.

وخلال هذه المرحلة التي قضاها مريضًا، تمنّى لنكتاريوس أن يشهد رؤيا في نومه: فقد رأى نفسه وحيدًا في سهلٍ أخضر، وقت المساء، وهو يرتّل على مهلٍ نشيد: «أيُّها النور البهيّ». وفجأة أصبح كُل شيء مُضيئًا بنورٍ يعمي الأبصار. وظهرت أمامه على بُعد خمسة أو ستّة أمتار سيّدة ترتدي ملابس بسيطة. وكانت على وجهها إمارات الوقار والحزن، ويلمع على كتفيها نجمان. وكان يرافقها رَجُلان يُشبهان الرهبان. وتهيَّأ لنكتاريوس أنهما القديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس بالاماس. فنادته السيّدة بصوتٍ نديّ كمياه الينبوع:

– «نكتاريوس !»

– «سيّدتنا والدة الإله! لقد تنازلتِ ...»

– فتابعت: «لا تضطرب. كُنَّا سندعوكَ للالتحاقِ بنا. فالبارحة مساءً كان الملائكة يتحضّرون لاستقبالك ...

– «آه لم أفطن لذلك. لم أفطن إطلاقًا لشيء من هذا النوع».

– « ... ولكن الربّ ارتضى أن تبقَي. وسوفَ تُتابع سلوك الطريق المحزنة، لا أعرف كم من السنوات بعد.»

فتمتم نكتاريوس:

– « سيدتنا والدة الإله لا ترحلي، لا تتركيني، أنا خائف!».

– «اهدأ وتابع جهادك، فالربّ سيعينك».

الأرثوذكسيّة (٨٠)

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبكنيسة واحدة جامعة مُقدَّسة رسولية

الكنيسة مصدر قوّة: قال العالم الطبيعي جون بروجز: «إنَّني أذهب إلى الكنيسة لأجد نفسي». مِن السهل بمكان أن يفقد الإنسان نفسه في العالم. نحن الذين يمكن أن نضل بسهوله، نذهب إلى الكنيسة لنوجَد. نحن الذين نُخطيء كثيرًا نذهب إلى الكنيسة لننال الغفران. نحن الذين نُسحَق كثيرًا نذهب إلى الكنيسة لننال الشفاء. في الكنيسة يوجَد الغُفران والشفاء لأنَّ المسيح فيها. كان للمرنِّم مشكلة بدا له أنْ لا حلَّ لها، حتى دخل أقداس الله حيث وَجَدَ الإجابة: «فلمَّا قَصَدتُ معرفة هذا إذا هو تَعَبٌ في عينيَّ حتى دَخَلتُ مقادِيس الله وانتبهتُ إلى آخرتهم» (مز٧٣:١٦-١٧).

كتبت الأديبة الروسيَّة نينا فيدوروفا عن المهاجرين الرُّوس بعد أن حطُّوا في مدينة صينيَّة، وتكلّمت بخصوص جدَّتها فقالت: «ارتدت جدَّتي ملابسها ببطء وذهبت إلى الكنيسة، وكالمعتاد فإنَّها تَرَكَت المنزل وهي فاترة وَمُجهَدة وعادت وهي هادئة ونشيطة وجادَّة، وبوجهٍ مُضيء ... ونفس المسيح الذي كان يتطلَّع إلى جدَّتي في روسيا هو نفسه المسيح الوحيد الذي يتطلّع إليها في الصين، وظلَّ كما هو. نعم في هذا العالم الدائم التغيُّر، يظل يسوع كما هو، وهو يتكلَّم إلى جدَّتي بنفس كلمات التشجيع والعزاء، وهو نفسه الذي يُعطي نفس المواعيد، ومن نبع حبّه الذي لا ينضب كانت تَشرَب بسرور وبِحُرِّيَّةٍ ، ولم يفرغ النبع أبدًا، كان دائمًا متدفقًا لجميع الذين يتناولون وينحنون ليشربوا منه».

قال شخص يزور ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية إنَّه عند زيارته للمُدن التي قصفتها القنابل لاحَظَ أنَّ الناس يجمعون الطوب ويحملونه من الأدوار السُفلى للمباني المفجوعة المهدَّمة، لا لكي يبنوا مصانع أو ليَستعيدوا اقتصادهم، ولكن لكي يبنوا كنائس. وعندما سألهم لماذا يفعلون ذلك، كانت الإجابة: «نحنُ نبني الكنائس أولًا، لأنَّ فيها سوفَ يَجِد شعبنا روح إعادة البناء».

إنَّ الكنيسة هي مَصدَر القوَّة ونبعها، لأنَّها ليست إلَّا المسيح الذي يبسط قوّته على امتداد الزمان والمكان، في الكنيسة يستمر وجود المسيح معنا، وفيها يستمر أن يقول لنا: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكُم» (مت ١١:٢٨).

توجد أُسطورة عن زكَّا العشَّار جابي الضرائب غير الأمين والذي دعاه يسوع مِن فوق شجرة الجميّز ليأكل عنده، وهو الذي تحوَّل إلى الإيمان بالرب من خلال مقابلة شخصيّة مع السيِّد. تقول القصَّة إنَّه بعد أيامٍ تالية لمقابلته مع الربّ، اعتاد أن يستيقظ مُبَكِّرًا ويحمل دلوًا ممتلئًا بالماء ويذهب إلى شجرة الجميز هذه ويسقيها جيِّدًا. وذات مرَّة تبعته زوجته وفاجأته بالسؤال: «ماذا تعمل هنا؟ وما هو سرّ اهتمامك بشجرة قديمة مثل هذه؟».

أجابها زكَّا: «هنا وجدتُ المسيح». حقًّا إنَّ الكنيسة هي المكان الذي نجد فيه المسيح، فيها نعتمد، فيها نسمع كلمته، فيها يدخل ويسكن داخلنا عندما نتناول من الأسرار المقدَّسة. لذلك نحنُ نهتم بالكنيسة ونُدَعِّمها، نخرُج من العَالم يوم الأحد ونذهب إلى الكنيسة، لنعود نحن كنيسة إلى العالم كلّ الأيام.

وختامًا نتذكَّر ما تعمله الكنيسة من أجلنا: إنَّها تُبارك ميلادنا ودخولنا إلى العالم منذ أوّل يوم، ثمَّ تفتح لنا أبوابها بعد ٤٠ يومًا من ولادتنا. إنَّها تعمّدنا وتعطينا اسمًا جديدًا في المعموديَّة، وتُعلِّمنا الإيمان بالمسيح المُخلِّص، وتُطعِّمنا بالجسد المُقدَّس والدم الكريم الذي لإلهنا، وتكلّلنا بتاج البَرَكَة عند زواجنا، وتقف بجوارنا في احتياجاتنا الماديَّة والروحيَّة، وتتحرَّك بسُرعة بالغة لتقف بجوارنا بسرّ الحضور الإلهي عندما تَقرُب منَّا اللحظات الأخيرة، وأخيرًا تضع جسدنا المائت أمام المذبح المُقَدَّس لتُصَلِّي أن يهدينا الله إلى ملكوته الأبدي إلى حيثُ «ما لم تَرَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يُحبُّونه» (١كو٢:٩). ومع كل هذا فالكنيسة لا يقف اهتمامها بنا عند هذا الحدّ، عند القبر، بل تظلّ تتابعنا حتى بعد دفننا وموتنا، فتذكرنا في القداسات وترفع صلوات لأجلنا حتى انتهاء العالم.

حقًّا إنَّ الكنيسة هي أُم حنون مُحبَّة، تأخذنا بين ذراعيها منذ يوم ميلادنا لكي تهدينا إلى ملكوت الله.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة عشرة «... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

٢٦– منح الروح بوضع الأيدي:

وقد دَهِشَ يشوع بن نون، خليفة **موسى**، فاقترب من **موسى** وقال له: «هل سمعت أنَّ ألداد وميداد يتنبآن؟ لقد دُعيا ولم يَحضُرا؛ يا سيّدي، يا موسى، كفّهما» (عدد١١:٢٨). أجابه موسى: لا أستطيع أن أمنعهما، لأن النعمة آتية من السماء. أنا أمتنع عن ردعهما، لأنّي تلقيّت هذه النعمة بفضل الله. ولا أظن أنك قلت هذا عن حسد. لا تَغر لي (**من الغيرة**)، لأن هؤلاء قد تنبأوا في حين أنك أنت لا تتنبّأ. إنتظر الوقت المناسب. «ليت جميع أمّة الرب أنبياء يجعل الرب روحه عليهم» (عدد١١:٢٨). لقد كان يتنبّأ بقوله: «حين يجعل الرب روحه عليهم». في الواقع إنه لم يكن قد أعطاه للجميع حتى ذلك الوقت. ألم يُعطه لإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف؟ والذين كانوا قبل موسى ألم يتقبلوه؟ ولكن العبارة «حين يجعل الربُّ روحه عليهم» تعني بوضوح «على الجميع». عندئذ كانت النعمة خاصة، أما الآن فهي غزيرة، كانت تعني ما سيحدث في العنصرة عندما نزل عندنا. كان قبل ذلك قد نزل على بضعة أشخاص، كما كُتِبَ: «أما يشوع بن نون فملىء روحَ حكمة لأن موسى وضع يديه عليه» (تثنية ٣٤:٩). أنتَ ترى في كُل مكان، في العهد القديم والجديد، نفسَ الصورة. في أيام موسى كان الروح يُعطَى بوضع الأيدي. وأُعطَى بطرس الروحَ بوضع الأيدي. وعليك أنتَ أيضًا ستنزل النعمة عندما تتلقّى العمّاد. أمّا الكيفية فلا أذكرها، لأني لا أريد أن أسبق الوقت.

٢٧– أمثلة أُخرى من العهد القديم:

وهو الذي حلَّ على جميع الأبرار والأنبياء: على **أنوش** و**أخنوخ** و**نوح** وجميع الآخرين، على إبراهيم وإسحق ويعقوب. ولاحَظَ فرعون أنَّ يوسف كان رَجُلًا فيه روح الله (تك ٤١:٣٩). وكثيرًا ما سمعت الكلام عن موسى وعن الأعمال العظيمة التي كان يعملها بقوّة الروح القُدُس. وهو الذي امتلك على **ايوب** الشجاع، وحصل عليه جميع القديسين وإن كُنَّا لا نذكر أسماءهم. والروح القُدُس الذي أُرسِلَ لصناعة الخيمة، هو الذي مَلأَ بصلائيل ورفاقه حكمة.

٢٨– كان الروح يدفع القضاة والملوك والأنبياء:

وبقوّة الروح القدس – كما نقرأ في سفر القضاة – حكَمَ عتنئيل واشتدّ ساعد جدعون، وانتصر يفتاح، وحاربت دبّورة المرأة. أمَّا عن صموئيل وداود، فإنّا نعلم بوضوح مما جاء في أسفار الملوك كيف كانا يتنبآن بالروح القُدس، وكيف كانا يتقدّمان سائر الأنبياء. فكان صموئيل يُسمَّى «الرَّائي» (١ملوك٩:٩-١١). ويقول داود بوضوح: «روح الربّ تكلّم فِيّ» (٢ملوك ٢٣:٢). وفي المزامير: «وروحك القُدُوس لا تنزعه منّي» (مز٥٠:١٣). وأيضًا «إنَّ روحك صالح يهديني في أرض الاستقامة» (مز١٤٢:١١). ونعرف من سفر أخبار الأيام أن زكريا أخذ الروح القُدُس في عهد الملك آساف، ويحزئيل في أيام يوشافاط، وزكريا آخر الذي رُجِمَ بالحجارة (٢ أخبار٢٤:٢٠). ويقول عزرا: «وآتيتهم روحك الصّالح ليعلّمهم» (نحميا ٩:٢٠). أمَّا عن إيليّا الذي رُفِعَ إلى السماء وأليشاع، وهما من «حاملي الروح» وصانعي العجائب، فمن الواضح أنهما كانا ممتلئَيْن من الروح القُدُس حتى ولو لم نتكلّم عنهما.

٢٩– أمثلة من الكُتب النبوية:

وإذا تصفَّح أحد أسفار الأنبياء الإثني عشر، والأنبياء الآخرين، فسيجد شهادات كثيرة عن الروح القُدُس: يقول الربّ على لسان ميخا: «قد امتلأت قوّة بروح الربّ» (ميخا ٣:٨). ويصرخ يوئيل: «ويكون بعد ذلك، يقول الرب، أني أسكب روحي على كُل بَشَر» (يوئيل ٣:١). ويقول حجاي: «لأنّي أنا معكم، يقول رب الجنود ... وروحي يقيم فيما بينكم» (حجاي ٣:٥-٦).

بينما رأيناه على الصليب وحيدًا، لا نراه هكذا بعد، بل يظهر وسط إخوته. في يوم قيامته قدم الرسالة المفرحة: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠:١٧). نسمعه يخاطب تلاميذه كإخوته وذلك في يوم قيامته المجيدة بعدما اجتاز آلامه. فإننا إذ نتقدس بعمله الخلاصي (آلام الصليب)، ليس فقط لا يخجل بل يُسر جدًا أن يدعوهم هكذا «إخوته» (عب ٢:١٢)

القديس غريغوريوس أسقف نيصص